ديوان فلسفات جنازة

شعر

مظهر عاصف

من ربعِ قرنٍ
أباريني
وأهزمُني
وأنفخُ الروحَ في
شعري وأنتحرُ

الطبعة الأولى
2019

رقم الإيداع لدى
دائرة المكتبة الوطنية

2019/8/4396

811,9

عودة , "مظهر عاصف"أحمد

فلسفات جنازة / " مظهر عاصف" أحمد عودة ,- عمان: المؤلف ,

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا

ISBN:978-9957-67-335-2

ديوان:

فلسفاتُ جنازة

شعر:

مظهر عاصف

تأليف: «مظهر عاصف» أحمد عودة

الطّبعة الأولى 2019م 1441هـ

جميع الحقوق محفوظة للجمهور

لوحة الغلاف للفنّانة: تبارك الياسين.

دار الجيل العربي للنّشر والتّوزيع

عمّان – الأردن **Amman - Jordan**

تنويه عابر:

يُسمحُ للقارئ بإعادةِ إصدار هذا الكتاب وأيّ جزءٍ منه أو تخزينه؛ واستنساخه ونقله كليًّا أو جزئيًّا، وفي أيّ شكلٍ وبأيّ وسيلة، سواء بطريقة إلكترونيّة أو آليّة، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، والتّسجيل واستخدام أيّ نظام من نُظم تخزين المعلومات واسترجاعها شريطة ذكر اسم المؤلف، ولا يلزم الحصول على إذن خطّي مسبق من النّاشر بناءً على رغبة الشّاعر.

مُقدّمة:

هو الشّعر!

همسٌ.. تمتماتٌ.. نزفٌ.. أرقٌ.. نزقٌ.. جنونٌ.. تلبّسٌ.. وقرابين!

وبعد..

هل لمستَ يومًا بُكاءَ الشّاعر مِن محاجر المتلقّي؟!!

"الكلماتُ دموعُ اللّغة.. والشّعرُ بُكاءٌ فصيح" «مقولة للنّاقد السّعودي عبدالله الغذامي».

أيُّ وجعٍ يحملهُ هذا الدّيوان.. وأيُّ سرٍّ يُخفيهِ في طيّاتِ كناياتهِ وبكائيّاتِهِ وغربتِه؟

نعم..

هو الجنون حينًا.. والطّيشُ المُتعمّدُ حينًا آخر.. والحكمةُ المسبوقةُ بوعي ووجعِ الشّاعرِ الذي يُعاني مِن نزفِ الشّعر في رئتيه!

لا يحملُ الدّيوان رقصَ الدّراويش.. ولا يبحثُ عن تصوّفٍ أو مقامات.. بل يشقى بالوجود ويؤرّقه الشّعر.. ولا يُريدُ إلّا وجهَه!

تتعبُه المادّة وتُثقِلُهُ الأشياء.. فيُمَوسِقُ شعره تارةً.. ويجلدهُ تارةً أخرى..

في شعر التّفعيلة يتفلّتُ الشّاعر عمدًا من الوزن.. يتحرَّرُ من الضّوابطِ التي تخنقُ فكرته فيشطحُ في الإيقاع العروضيّ ويخدشُ لحنَ القصيدة في أكثر من مطرح، غيرَ أنّه يعودُ متلهّفًا إلى القصيدة بغزارة إيقاعه التّركيبيّ والتّصويريّ وكأنّه يحضنُها بما أوتيَ من وجَعٍ ليقول إنّ الدّمَ حينَ يسيلُ لا يؤمنُ بترسيمة أو حدود.. لكنّه يبقى ملتهبًا حتّى آخر رمق ويُبْقي حرائِقَه مشتعلةً حتّى آخر طَرفة حرف!

ستلفتكَ حتمًا الحرارةُ في النّصوص.. تلك الشّرارة المتوهّجةُ المتنقّلةُ من قصيدةٍ إلى أختها.. وستلمسُ الصّدقَ والدّفقَ والشَّكَّ حدَّ الإيمان!..

ستتأكدُ أكثر من مقولةِ الشّاعر الإسبانيّ "ميغيل دي سرفانتيس حين رأى أنّ "الشّاعر يولدُ من رحم أمّه شاعرًا.."

كلّما توغّلتَ في وجعه أكثر.. تنفّستَ ريحَ "نزار قبّاني" في السّبك واللّغة الطيّعةِ والسّهل المُمتنع والسّردِ الأنيق مع حداثةٍ في الصّور وأناقةٍ في التّعبير وجزالةٍ في الحرفِ والتّصوير.

يخطفُ الأنفاسَ حين يبحرُ في التّعدادِ ورشقِ السّهامِ الشّاعرات النّائحاتِ المتتاليات.. ثمّ يتركُ لك فسحةَ زفيرٍ ضيّقةٍ متواضعة قبلَ أن يشدَهَ الخيالَ من جديد.

وقد يضيعُ منه الوهجُ في بعض المواضع لكنّه سرعانَ ما يحرّكُ عصاهُ لِيُحكِمَ قبضته وسيطرتَهُ وسحرَه كي يتغلغلَ في شرايين الشّعور فيتأجّج ويثور ويشتعل من دون رحمة.

هو الشّعر حين يثور وحشُه تحت جلدِ صاحبه ليتركَ بصمة "وجعٍ أبيض" ستغربلُه الأيّام لينحت وجهَه جليًّا مع الوقت.

سيُحاكم الشّاعر في هذا الدّيوان على وجعه والمرأة الحُلم المختبئة خلفَ كلّ حرفٍ وتنهيدة... وسينتصر البكاءُ الشّاعرُ.. وسيحكي الشّعر يومًا عن هذا المولود.

سارة بشّار الزين

إهداء:

إلى أمّي

سهام أبو هنيّة

الشّمسُ والبدرُ

منذ الخَلوَ ما التَقَيا

ووجهُ أمّكِ بالضّوءينِ يجتمعُ.

الثّوب

لزقزقاتِ بناتِ الشّامِ إفصاحُ
ووشوشاتِ ظِباءِ القدسِ إيضاحُ

الغارقونَ ببحرِ العشقِ ما غرِقوا
إلَّا وقد تُركَت في الشّطِّ أتراحُ

ما أبعدَ الفُلكُ أوطانًا وإنْ رفضتْ
دربَ الرّجوعِ إلى الأوطانِ ألواحُ

بيضُ الأناملِ سَمراواتُ أخيِلَةٍ
في رقّةِ الصّوتِ للمَنكوبِ أفراحُ

لا يرتَقينَ على «الأكعابِ» مِن قِصَرٍ
لكنَّهُ الطّبعُ نحوَ الفوقِ ينزاحُ

المائلاتُ إلى ما مالَ أصدقُنا
والباسطاتُ يدًا إنْ غُلَّتْ الراحُ

تُسجى الفراخُ بما زُقت بذي كرمٍ
ومبخرُ الطّيبِ في الأعراقِ نضَّاحُ

بعضُ العطورِ وإنْ دامتْ لزائلةٌ
وأجودُ العِطرِ ما في الخُلقِ فوَّاحُ

جاورتُهن غريبًا غيرَ ذي سَعةٍ
فاستنزلَ الضّيقَ في الأغلالِ إفساحُ

ينفضنَ عن كاهلِ المَكلومِ وحشتَهُ
ويستَضِئنَ وما في اللّيلِ مِصباحُ

مَن ألَّفَ الرّوحَ في جُندٍ مُجنّدةٍ
تنأى وتقرُبُ باللّاوعي أرواحُ؟

حاورتُهن عسى إن لنتُ تعرفُني
بيضاءُ باسقةٌ والوجهُ وضّاحُ

يامنتُ شعريَ في عذلٍ وياسَرني
أطوي وأنشرُ تِبيانًا وأجتاحُ

قالت: ستخسرُ في الإلحاحِ مَنقبةً
ولمعةُ العشقِ في العينينِ إلحاحُ

وطَرفَةُ العينِ لا تبدو كنظرتنا

فيها البيانُ ولحظُ السّحرِ لمَّاحُ

وكم كتمتُ أنا في موطني قلمًا

فاستنزفَ الحبرَ بالتّزوير مدَّاحُ

وكان للأرضِ بكّاءً «أبو عربٍ»

وهل يُصدَّقُ في الآلامِ مزَّاحُ؟!

والشّعرُ في الحقّ لا يُلوى لغانيةٍ

ولا تدورُ إذا ما قيلَ أقداحُ

مِن رملةٍ وقرى الآرامِ قد وُجِدتْ

في هذه الرّوحِ أعرابٌ وأقحاحُ

ويعرفُ الثّوبُ مَنْ طرزنَ شاشَتَهُ

«وشملةُ» الخَصرِ حول الخَصرِ ترتاحُ

ويعرفُ القمحُ ما غنَّت سنابلُهُ

وما يُدوزنُ في الأغصانِ فلّاحُ

مِن هذه الأرضِ آبائي ومَن لجأوا

ويملِكُ الأرضَ رغمَ النّفيّ نزّاحُ.

التّبغُ الضّائع

يا أيّها اللّيلُ خُذْ ما شئتَ مِن عُقَدِي
واشهدْ حسيسَ النّوى في دورةِ المَددِ

صوفيّةُ الحرفِ فيما قلتُ تغرقُني
ويبلعُ الصّمتُ ما في الدّمعِ مِن زبَدِ

كلُّ المعاصي وآثامي وما اقترفَت
كفَّايَ قد لجَأت خَجلى لمُعتقَدِي

لم أشربِ الخمرَ بل قبَّلتُ فاتنةً
واللّاثمُ الثّغرَ إن مادَ الهوى يَمِدِ

كانت لها القوسُ في عينيهِ صائدةً

فما لها اليومَ لم تغنمْ ولم تصدِ؟

ما قوَّضَ الحزنُ قلبيِ إنَّما لغتي

أو ماءَ روحي مِن العينينِ بل كَبِدي

يا أيّها اللَّيلُ هل أخبرتَ شاهدَهم

أنَّي أفتِّشُ في المرآةِ عن جسدي؟

أنَّي أفتِّشُ في عينَيَّ عن صورٍ

تَذوي إلى الوهمِ إن مرَّتْ على أحَدِ؟

وحدي ويبعثُني وحدي لوحْدَتِهم

حتَّى أعودَ شخوصًا هالهَا عدَدِي

أَمسِي هناكَ وخلفي ألفُ نائحةٍ
يلجأنَ مِن عرَضِ الأرزاءِ نحو يَدِي

يذرفنَ مِن وجعٍ أوجاعَ قافيةٍ
لا يستقيمُ لها وزنٌ بغيرِ غديِ

إنّي المُمدَّدُ في قبري وخارجِهِ
والذّارفُ الشّعرَ مِن ضعفِي ومِن جَلَدِي

والصّامتُ الصّبُّ إذ يجثو فأحمِلُهُ
مِن صدمةِ الأرضِ فوقَ التّيهِ والكَمدِ

يا قبرُ قد سكنَت دنيايَ قاطبةً
في دفتيكَ وفي جنبيكَ مُفتَقَدِي

أين العِقالُ؟ وحطَّاتٌ مرقّطَةٌ؟؟
بالنّثرِ بالتّبغِ بالخَيماتِ بالبَلدِ؟

أينَ الدُّخانُ الّذي قد كنتَ تنفثُهُ؟
أينَ اختلاطُ الشّـذا بالنّارِ والبَرَدِ؟

يا زوجَ مَن رصَفَتْ بالطُّهرِ مقصَدَها
مُذ حلَّقَت بجناحِ الوَصلِ والولَدِ

سرًّا أسـائلُها إن خبَّأت نغمًا
مِن صوتكَ العَذبِ في صوتٍ بها غَرِدِ

قالتْ مفاخرةً دنياكَ يا أبتي:
إنّي الغَرورُ فلا تُقبِل ولا تَرِدِ

فلا ورَدتَ ولم تُقبِل فكنتَ لها

يومَ استرحتَ مِن الأثقالِ بالرّصدِ.

رفوفُ مورِقة

أخفيتُ عنِّي ما يُرى ويُذاعُ
وأطعتُ قلبي والقلوبُ تُطاعُ

لمَّا تَقنَّعَ خلتُهُ مُتماسكًا
لكنَّهُ في الحالتينِ قِناعُ

لو شاءت الدّنيا لهُ ما شاءَه
ما كانَ بين المُتعَبَينِ نِزاعُ

ماذا تغيَّرَ مِن شحوبِ ملامحي
وأنا لكلِّ مصيبةٍ أنصاعُ؟

وجهي معالمهُ تدلُّ على الأسى

وعلى الأسى تتقلَّبُ الأوجاعُ

ما عدتُ أشبهُني فقل لي مَن أنا؟

ماتَ الكمانُ وهاجرَ الإيقاعُ

ما عدتُ أشبهُ غيرَ قمحٍ شاحبٍ

درَسَتهُ قبلَ ضمورِها الأضلاعُ

ما عدتُ أشبهُ غير بيتٍ مُوحشٍ

ضربَت سرابَ بعيدِهِ الأصقاعُ

ماضٍ ويهزمُني الضّعيفُ بداخلي

والكسرُ والمكسورُ حين يُراعُ

لا شيءَ خلفي إنّمَا ألمٌ بدا
رغمَ الهروبِ لداخلي وصراعُ

خوفُ الأمامِ يجيءُ مِن طعَناتهِ
فإذا استدارَ إلى الورا يلتاعُ

في خلفهِ زمنُ الفِراقِ ووحشةٌ
وتهافتٌ بيدِ الرّدى ووداعُ

في خلفهِ الأنثى الّتي وهبَت لهُ
ما كان يَحسبُ أنّهُ يُبتاعُ

غابت توسّدُ قلبَها في قلبهِ
وأمدُّ عجزي إذ تُمدُّ ذراعُ

في خلفهِ أبتي وهمستُه الّتي

فوق الرّفوفِ المُورقاتِ تُذاعُ

ذهبَت بهِ الأنفاسُ نحوَ مصيرها

كيلا يعودَ مِن الضّياعِ ضياعُ

يشتاقُ كلِّي يا لكلِّ زاهدٍ

فيما سواهُ وعندهُ طمَّاعُ

في خلفهِ إن تسأليهِ كوارثٌ

وسدودُ نحسٍ مُطبِقٍ وقلاعُ

غنِمَ الجميعُ مِن العِجافِ نصيبَهم

إلّاهُ فيها خاصمتهُ صِواعُ

فُتِحت لهم أبوابُها إذ غلِّقت

في وجههِ وتمنَّعَ المصراعُ

واستشعروا منّي البكاءَ فلم أقلْ

ما قد تصونُ لقولهِ الأسماعُ

ها أنتَ وحدكَ كي يقُلنَ: مكابرٌ

قد قلنَ لكنْ قولهُنَّ خِداعُ

إن يستعذنَ مِن القصيدِ وعمقِهِ

فالشّعرُ فيكَ تأصلٌ وطِباعُ

هذا الحُطامُ حُطامُ نفسكِ واثقٌ

ألَّا يكونَ معَ السّجالِ دفاعُ

فإذا انتهيتَ فللنّهايةِ أولٌ

فالحزنُ عادَ وعادت الأوجاعُ.

دفّتانِ وأنَا

لمْ نقتسِمْ وجعًا لكنَّهُ الوجعُ
يُهمِي بأنَّتهِ ما كان يَمتنِعُ

صلبًا أراكَ وكم أبديتَ مِن جَلَدٍ
فكيفَ تحمِلُ في الأضلاعِ ما يقَعُ؟

حُمِّلتَ مِن تَعبِ الأيّام أرهقَها
وصُعِّبَ السّهلُ فيما رمتَ والمُتعُ

لولا الرّؤومُ الّتي روَّستَ دعوتهَا
لقلَّمَ العمرَ مِن أنفاسهِ الجَزَعُ

فالشّمسُ والبدرُ منذُ الخَلقِ ما التقيا
ووجهُ أمِّكَ بالضّوءينِ يجتمعُ

مَن ذا يردُّ نقاءَ الشّعرِ في رجلٍ
ما دام مِن دمهِ قد هاجرَ البجعُ؟!

يا كلَّ ما عرفَت روحي بمُتعِبِها
لو جَرَّدَت سَفهًا ما راح يندفِعُ

لكنَّهُ اللّينُ إذْ يجري بأوردةٍ
كيلا ينازعَهُ في جريهِ الطّمعُ

قلَّدتَ في الشّعرِ معشوقًا لقامتهِ
وما اتُّهمتَ إذا ما قيلَ يتَّبعُ

ما جلّلَ العينَ قد أودى بقسوتِها
وآيةُ الكسرِ في أحداقِنا الهَلعُ

في لُجّة العتمِ ترسو فيكَ نائبةٌ
وضفّةُ الضَّوءِ ممَّا حلَّ تنصدِعُ

وأنتَ أنتَ ولكنْ لم تَعدْ سكَنًا
للنّازفينَ عيونًا حينما فُجِعوا

فقلبُك اليومَ للأرزاءِ قِبلتُها
وقلبُك الرّحبُ للأحزانِ يتسعُ

قد قدَّمَ الموتُ للأجداثِ وجبتَه
ولا يزالُ لها يُقري وتبتلِعُ

ولا تزالُ كنارٍ كلَّما انطفأتْ
أو ذبَّها الصّبرُ بالأمواتِ ترتفعُ

في رَدهةِ الأرضِ إذ عاشوا مكابدةً
ودَفَّةُ القبرِ للنّسيانِ تُشترعُ

وكنتُ أحسبُ أنَّ الصّمتَ يُنصِفُني
حتّى صرختُ عذابًا حينما وضِعوا

ما قاله الشّعرُ في سلواي مَفسدةٌ
فهل تصدِّقُ أنَّ الصّبرَ يُخترعُ؟

انوجاد

روايتُه تنقِّحُها الدّماءُ
ويمحُوها وتنقلُها النّساءُ

وإن غابَت ملامحُه استُردَّتْ
بفَرعٍ مِن تجذُّرِها يُضاءُ

ولم يُكتَب مخافةَ أنْ سيُنسى
ولم يحفظْهُ للآتي الرّثاءُ

وما قد قيل.. قيلَ مُسلَّماتٍ
يَخرُّ أمامَ سطوتِها الرّياءُ

وفي الثّوبِ الكثيرُ مِن الحكايا

وخلفَ خيوطهِ تعدو الظّباءُ

ويسكنُه على المنفى وجودٌ

ويُسكنُ مَن يهجّرُه الفَناءُ

وهل قَدْ يستوي شعبٌ قديمٌ

ومَن في مهدهِ وطنًا يشاءُ؟!

له أن يستريحَ بلا عظامٍ

يُسمِّدُها إذا انتَثرت فضاءُ

وأن يمشي إلى الدنيا وحيدًا

وجمعًا حين ترفعُهُ السّماءُ

وليسَ الموتُ ما يخشاه لكنْ

لهذي الأرضِ يُنتدبُ البقاءُ.

التّراب

لا أملِكُ النّردَ في كفّي فأنتصرُ
أبكي، يُكذِّبُ دمعي أنّني حجرُ

آمنتُ بالصّبرِ لكنْ عقَّني ومضى
فكنتُ مِن بَعدِه بالقيد أصطَبرُ

وكنتُ عن قِصَرِ الأحلامِ أمنعُها
نفسي، وعند رفيعِ الحُلمِ أنكسرُ

وكنتُ ما كنتُ إلّا حينَ أنثُرُني
والشّعرُ ما الشّعرُ إلّا حينَ ينتثرُ؟!

طاردتُ كلَّ محالٍ لاهثًا فإذا
خرَّت قوايَ، أمامي راح ينتظرُ

مِن ربعِ قرنٍ أباريني وأهزمُنِي
وأنفُخُ الرّوحَ في قلبي وأنتَحرُ

مِن ربعِ قرنٍ أنا ما زلتُ مثلَ أنا
شيئًا يسيرُ ولا يبدو لهُ أثرُ

فرَّغتُ بالحرفِ أسفاري وأتربتي
فكادَ مِن ثِقَلِ الآلامِ ينفطرُ

مادت خطاهُ على الأوراقِ يحمِلُها
كما يَجرُّ عَليلًا ذابِلًا سَكِرُ

مَن ذا أحدِّثُ والأشباحُ نائمةٌ؟!
ولا مكانَ هنا كي يسكنَ البشرُ

ومَن رفيقي إلى الدّنيا ووحشَتِها؟
وصاحبي الشّعرُ عند الجِدِّ يعتذرُ!

ومَن يمدُّ يدًا أو طوقَهُ مدَدًا
وأنتَ رغمَ جحيمِ الحالِ تفتخرُ؟!

يأسٌ وبؤسٌ وسوداويةٌ تَركَتْ
نيرانَ عتمتِها في الرّوح تستعرُ

والقهرُ فيكَ وتَنفي ما تكابدُهُ
وفيكَ لا شيءَ مِمَّن بالرّضا فُطِروا

ما بينَ داهيةٍ تأتيكَ نائبةٌ
وبينَ نازلةٍ يختارُكَ الكَدرُ

ترجو الخلاصَ وأرضُ الله واسعةٌ
تَضْيَقُ إن رَحُبَت في صدرِنا العِبرُ

تَضْيَقُ يسبحُ في الأحداقِ قارِبُها
وخلفَ كلِّ سرابٍ يسبحُ البصرُ

تَضْيَقُ ترصُفُ مِن أشواكِها طُرقًا
وتحذرُ القاعَ إذ تصطادُكَ الحفرُ

لم أبرحِ اللّيلَ مذ سيَّرتُ قافلتي
ضدّاي: ما مَنعت دنيايَ، والقدرُ

أخبرتُ عمري: سنرمي آتيًا، فأتى
ما لستُ أعرِفه في الأمسِ ينحدرُ

لُمْتُ العيونَ لأسرارٍ بها افتُضِحَتْ
وما دريتُ بسرِّ الصّمتِ يَنهمرُ

وما شدوتُ غنائي حينها طربًا
بل غُصّةً سَفَكت ويلاتِها السُّرُرُ

قامَرتَ بالشّعرِ لا عينًا ظَفِرتَ بها
ولا اختصرتَ مدىً أو رُحتَ تُختَصَرُ

لو كان ما زرَعَت كفَّاكَ قاحلةً
يومًا لَظَلَّكَ مِن أطيابِها الثّمَرُ

لكن زَرعتَ صِباكَ المرَّ قافيةً

والشّـيبُ في عبثِ الأغصانِ ينتشِرُ

يجري وراءَك.. يجري أم تُسابقُهُ؟

قلبٌ تكسَّرَ في ظَلمائهِ الحَذرُ

لو نَوَّمَتْهُ ولو في الشّـوكِ مُرضعةٌ

أو عَبَّقَتهُ بها ما كانَ يُحتَضَرُ

يحتاجُ يسألُها إن أطعَمَتهُ فمًا

مَن منكمُ الماءُ أم مَن منكمُ الشّـرَرُ؟!

سَرِيرُ الرَّمل

لا عذلَ يُجدي مَن أرادَ ملامَة
وطَلَى بمعسِولِ الأناةِ كلامَهْ

ومضَى إلى دنيا الشّبابِ يضمُّها
فسَرَت إليهِ مِن المَشيبِ نَدامَة

فرَّقتَ حزنَك بين ذاكَ وبين ذا
ورَخيتَ للدَّمعِ العصيّ لجَامَه

وهَدَمتَ لا صلبًا جِدارَ تماسكٍ
والصّبرُ مَن نقضَ البنِا وأقامَه

وعليكَ ترتطِمُ القبورُ ببعضِها
فكأنَّما في القلبِ شبهُ قيامَةْ

وإليكَ تجتمعُ النُّعاةُ وأنتَ مِن
مَطرِ النُّعاةِ سحابةٌ وغمامَةْ

فاقبِضْ على قلبٍ تقطَّعَ نازفًا
وشوَت تنانيرُ الزّمانِ عظامَه

«واحنُنْ» عليهِ حنوَّ والدةٍ وقد
نخرَ الفِراقُ عنادَه وعصَامَه

تلكَ الجماجمُ كأسُه ودنانُه
والموتُ مِن دمِنا يصبُّ مُدامَه

مِن لحمِنا يقتاتُ وجبةَ مُتخَمٍ

والقبرُ يشهدُ طهيَه وطعامَه

فإذا انسحبتَ مِن المماتِ مخافةً

فجهاتُنا كلُّ الجهاتِ أمامَه

يا موتُ حسبُكَ ما تركتَ بشاشةً

إلَّا وألقَمهَا النّياحُ جهامَة

يا موتُ إنّي قد رجوتُكَ حاسرًا

ألَّا تعيدَ إلى الشّموسِ قَتامةْ

فأعدتَها وأسَرتَ جفنًا ناعسًا

بمنامهِ يوم احتللتَ منَامَه

كنَّا جميعًا ها هُنا فأتيتَنا

ورحلتَ إذ كنَّا وغابَ «أسامةْ»

كنَّا وللمحرابِ صوتٌ دافئٌ

فذوى صَداهُ وقد خطَفتَ إمامَه.

الأشقّاء

تموتُ الجبالُ

يموتُ الصّنوبرُ فوقَ المباني العتيقةْ

وتخشى الشّقائقُ وجهَ الشّقيقِ

فنادت علينا:

أنعمانُ صفحًا

أنعمانُ عقلًا

أنعمانُ مهلًا

وجزَّ الشّقيقةَ تلوَ الشّقيقةْ

أصمُّ

فلم يسمعِ الصّائحاتِ اللّواتي انتحَبنَ

أصمُّ

ويمحقُ صوتَ العذارى على طهرهِنَّ

فلا مِن دليلٍ

ولا مِن حديثٍ

ولا ليسَ يُمضي كلامَ النّبوةِ:

"رفقًا بهنَّ"

تموتُ الجبالُ

وتبقى العِشارُ بلا حملهنَّ

يسافرُ بعد العذابِ

ودونَ إيابٍ رحالُ السفرْ

تُساقُ التّلالُ إلى المُنحدرْ

يُجرُّ اعتباطًا وقد شُلَّت الرّوحُ فيهِ القمرْ

ويُنزعُ عن وجهنَا المُستغيثِ احمرارُ الخجلْ

وعنَّا تمامًا سماتُ البشرْ

ومِن كلِّ صوبٍ تضيعُ الجهاتُ لأنَّا نشكُّ

ومِن حولنا كلُّ شكٍّ يشكُّ

لننسى الكثيرَ وما يستحقُّ

وتُنسى دمشقُ

هنا تخرجُ النّسوة المُحصناتُ بدونِ الحجابِ

خِماصَ اليدينْ

وثرثرةٌ دونَ ذكرِ السّريرِ

ولا قُبلتينْ

حديثٌ مُجوَّفْ

وبردٌ يَقدُّ الكلامَ الأليمَ

الكسيرَ المُجفّفْ

وتطفو القبورُ على بحرنا الكاملِ المُستجيرْ

ويبدو الطّويلُ إذا قيلَ قهرًا

كبحرٍ قصيرْ

شجونٌ له ألفُ وجهٍ

ووجهٍ عن القاتلينْ

وجومٌ يحاولُ ألّا يُعيدَ

وإن زالَ عن بعضِهنِ الحنينْ

هنا تَمزُجُ البِكرُ وقعَ البكاءِ

بوقعِ الخشونةْ

وفي جوقةِ الحربِ عزفَ النّشازِ

بعزفِ النّعومةْ

وتخرجُ «عشرينيّةٌ» بعد عامٍ بثوب قصيرْ

فلا أعينٌ تنهشُ النّاهدينْ

ولا مِن سِوارٍ يردُّ الجوابَ عن المِعصمَينْ

خلا دربُها مِن غريبِ الغزلْ

خلا من سياجٍ بناه الحياءُ

لدرءِ الفتنْ

ويأتي مِن الصّوتِ صوتٌ بعيدٌ

يجرُّ الغيابْ

وضَوءٌ خجولٌ يَدُقُّ الظّلالَ الّتي كُسّرت

وندفِنُ ذاك السّؤالَ الوحيدْ

لأنّا نخافُ الجوابَ الوحيدْ

لماذا بدأنا؟

وفي المسرحِ ال لم يعد فيهِ شيءٌ

يقصُّ الفراغُ على آخر الميتينَ التّرابْ

قصيدٌ دمشقْ

وجرحُ السّنينِ بدا يافعًا

بتلكَ الصّبيّة

فلا أمويٌّ يذوبُ اشتياقًا إذا ما تشاقى

ولا أمويّة

ويُنسى «نزارٌ» وما قال فيها

وتُنسى القصائدُ والنّاظمونْ

وما بين موتٍ وموتٍ

هناك المَنونْ

وفيها الطّفولةُ في كلِّ عشقٍ

وعشقٍ تُعاد

وفيها الكثيرُ وما يستحقُّ

وفيها دمشقُ

فلا تتركوها بجُنحِ الظّلامِ كأنثى وحيدة

ولا تكذبوا

إذ يقول المسافرُ: في القلب أرضي

لقد أرضعتكم

فلا تشربوا مِن حليب الطّغاةِ

بداعي العطشْ

لقد أطعمتكم

وكنتم صغارًا

فهلَّا رددتُم لحوم الظّباءِ

بهذي السّنينِ العجافِ

إليها؟

وهلّا أعدتُم إليها بنيها؟

إليها الزّمانَ الذي كان يجري معَ الياسمينْ

معَ الغيدِ والقولِ والقائلينْ

إليها المكانَ وما يستحقُّ

ففيها دمشقُ.

الأدغَال

كن الإنسانَ أو قلقي

كن الإنسانَ أو آخر

ومارس دورةَ الأفلاكِ

كالأفلاكِ في جسدي

وفي صحراءِ هذا الفكرِ كن بئرًا

لعلي أستقي وهمًا

يَبُلُّ عروقَ أوراقي

أحمِّلُ قاطراتِ العمرِ أقنعةً

وأصباغًا

وشيئًا منكَ.. مِن آخر

وفي دربي إلى المقهى

أرى نفسي تَساقطُ مِن ذُرى نفسي

وتصدأُ سكّةُ التّاريخِ

تنهشُـها مسـافاتي

ووحدي في احتسـابِ الوقتِ

أن تدنو دقائقُه.. وأخشـى أن يمزّقَني

ووحدي إن رحلتَ الآن

أبقى دون مرآتي

فيعكسُ ظِلٌّ إنسـاني

ظلالَ أنوثتي العطشـى

وأصحو مِن معاقرتي

لوجهٍ شـاءَ أن يمضي

لأرضٍ لم يعد فيها

طيورٌ تسـكنُ الأشـجارَ

أمكنةٌ تضمُّ نوارسًـا تعشـقْ

زوارقُ شـلَّها الإبحارُ

أجبرها بأنْ تغرقْ

لأرضٍ ماؤها قاسٍ

تلينُ صُخورُها للغيرِ

كيفَ وأينَ لا أعرف؟!

ويمضي وجهُكَ السكّيرُ

هذا الوجهُ يشبهُني

ويشبهُنا إذا غبنا عن الأدغالِ

إن صاحت

ذئابٌ تسكنُ الإنسانَ في شرهٍ

وتعوي دون أن نهربْ

لعلَّك إن رجعتَ الآنَ

تلقى فوق مكتبنا

قصائدَنا وقد طُرقَت

دفاترَنا وقد ولدَت

وأقلامًا تضاجعُ عَتمَةَ المنفى

وساعةَ حائطٍ قفزت

عن الأيّامِ أيّامًا

وضَوءًا خافتًا كَسِلًا

وتَلقى رُزمةَ الأوراقِ قد أكلَت رسائلَها

غبارًا نهنهَ الأشخاصَ فيها

في غياهبها

وخوفي أن تلاحقنَا إذا عدنا محابرُنا

فهل نهربْ؟

وهل مِن ذاتهِ الإنسانُ

مِن قارورة الأجسادِ

مِن قضبانِها يهربْ؟!

وفي دربي إلى المقهى

أرى نفسي تَساقطُ مِن ذُرى نفسي

كما تتحرَّرُ الأوراقُ من أغصانها غصْبًا

ولا أهربْ

وأشعر أنّكَ القادمْ

وأنت لديَّ مع أخرى

ولا أهربْ

ووحدكَ مَن تحرِّفُني

وتنسِجُ مِن عباراتي

رداءً لا يناسبُني

يقمِّصُ قدُّهُ الأخرى

وبعد تثاؤبِ الإحساسِ تَأخُذني

تعلّقُني على نفسي

على جدران ذكرانا

وألبَسُ وجهَنا الآخرْ

وشالاً لا يَقي بردًا

ولكنْ ..أنتَ تعشقهُ

وأجلسُ مرّةً أخرى

ليسألَ نادلُ المقهى:

شرابٌ؟

قهوةٌ؟

ألمٌ؟

وأقبلُ مرّةً أخرى

وأنتَ لديَّ مع أخرى

بأن تتهشَّمَ الأشياءُ في قيعان أسئلتي

وأن تتلعثمَ الأكوابُ إن مرّت على شفتي

وتنحازُ ابتساماتي إلى ركنٍ

لزاويةٍ

يراودُني بها آخرْ

وأقبلُ أن تراقصَني

لعلّي أستقي وهمًا

يَبُلُّ عروقَ أوراقي

وتصدأ سكّةُ التّاريخِ

تنهشُها مسافاتي

وذاك العازفُ المجنونُ

شيءٌ فيه يعجبُني

يحاصرنُي

يَدكُّ حصونَ أوردتي

يمارس لُعبَة الإخفاءِ حين أراهُ منحنيًا

ليُمسكَني

وحين أراهُ محترقًا

ليُحرَقَني

ولا أهربْ

وأهربُ مِن هروبِ الخوفِ كي أبقى

ولا أهربْ

وألفُ عبارةٍ خجلى

على شفتيهِ أقرؤُها

تنهنِهُني

أفسّرُها تفسّرُنِي

تضجُّ أساوري بالحبِّ

تُعلِنُ ساعتي فصلًا

جديدا تائهًا

لكنْ.. تذكّرني بكَ الأقراطُ.. بالآخرْ

تذكّرني

وأنهرُها

وتلعنُني

أحاربُها

وتهزمُني

تذكّرُني

تقضُّ مضاجعَ الذّكرى

ولا أهربْ

وألمَسُ وجهكَ السّكّيرَ

هذا الوجهُ يشبهُني

ويشبهُنا إذا غبنا عن الأدغالِ

إن صاحتْ

ذئابٌ تسكنُ الإنسانَ في شَرَهٍ

وتعوي دون أن نهربْ

وهل مِن ذاتهِ الإنسانُ

مِن قارورةِ الأجسادِ

مِن قُضبانِها يهربْ؟!

ويمضي اللّيلُ

ثمَّ اللّيلُ

ثمَّ اللّيلُ

ثمَّ أنا

رفاقًا دونَ أن ندركْ

ونسمعُ قارئًا يتلو كلامَ الله تحبيرًا

فهل مرّت جنازتُنا لنبكي روحَ قصّتِنا؟

ولم نعرفْ؟

وفي الأخرى

يموتُ النّادلُ المسكينُ

مثلَ كؤوسهِ كَمدًا

يموتُ العازفُ

القيثارُ

والرّوادُ

والمقهى

يموت الفصلُ مِن كَمدي

فمارسْ دورةَ الأفلاكِ كالأفلاكِ في جسدي

وفي صحراءِ هذا الفكرِ كن بئرًا

كن الإنسانَ أو قلقي

فهذا البردُ أورثني

صقيعًا جمَّدَ الشّكوى

وشالاً لا يَقي بردًا

ولكنْ أنتَ تعشقُهُ

وقد خبّأتُ في الإنسانِ

في الأنثى

وأنت لديَّ مع أخرى

كمانًا لم يَرُمْ عزفًا

لأنّي لحنُك الأوّلْ

وأجلسُ مرّةً أخرى

ليسألَ نادلُ المقهى:

شرابٌ؟

قهوةٌ؟

ألمٌ؟

فأطلبُ عازفًا لدمي

ليخرجَ مِن دواليبي

يلاحقُني

وفي أثناءِ رقصتِنا

يلاحقُني

وفي أثناءِ مَن مرَّت

ومَن ذهبتْ

يلاحقُني

وفي دربي إلى المقهى

وفي قيعانِ أسئلتي

يلاحقُني

ولا أهرب

لأنّي كنتُ مع قلقي

مع الإنسانِ

مع آخر

وأنتَ لديَّ مع أخرى.

نَيسَان

نَيسَانُ هذا العامِ يبدو صارمًا

وأنا أراقبُ جوقةً بعثَتْ تواشيحَ التّرابْ

هو شهرُ وَشوشةِ الرّياحِ تدورُ عاريةً

يُحمِّمُها العُبابْ

هو حينَ حجَّتْ كي تعمِّدَ حزنَها

نحو المآذنِ

والقِباب

هو شهرُ مِشنَقةِ الأماني إذ تدلَّت

مِن تلابيبِ العذابْ

يأتي ويذهبُ

والزّمانُ زمانُهُ

يأتي ويذهبُ والمكانُ تصدَّعتْ

بعد الرّدى أركانُهُ

يأتي على مهْلٍ

ليظفَرَ بالذهابْ

نَيسانُ يا «فدوى» أرادَ

وقد تغنَّمَ ما أرادْ

قد جاءَ بالوجعِ النّبيلِ كصهلةٍ عصماءَ

في غضبِ الجيادْ

قد جاءَ يرتشفُ الدّقائقَ مِن كؤوسِ الوقتِ

يملؤُها الحدادْ

وهو الّذي قد قالَ:

مَن في البابِ؟

يبدو عاتِبًا

ويداه مَن خلعَت عظامَ البابِ

مِن قبلِ العتابْ

والسّائلُ المسؤولُ عن ألمِ الفراقِ

ومَن أجابْ

وهو الّذي

عرَّى الرّبيعَ مِن القصيدةِ بعدما

عرَّى القصيدَ مِن الرّشادْ

وأرادني حيًّا وموتي عالقٌ

ما بين معرَكةِ الوجودِ أو الحِيادْ

أيني وقد ركِبَ الجنونُ الرّيحَ

نحوَ اللّا صوابْ؟

إنّي أفتّشُ بعدَ أن ضيّعتُني

عن كلِّ نَيسانٍ يجيءُ بلا عذابْ

ما كان ذنبي أن تجيءَ مُقلَّدًا قلقي

وفي نفسي تُعادْ؟

ما ذنبُ طيني كلَّما شكَّلتُ مِن طيني بقاءً

عبرَ صَلصَالي تكسَّر بالغيابْ

أيني

وقد بعثَ الوداعُ الموتَ

في رسلِ السّحابْ؟

والنّاس حولي

والجنائزُ

والأماكنُ

والعناقاتُ الّتي

تأتي وتغدو للسّرابْ؟

الموتُ يا أبتي

وهذا اللّيلُ يا أبتي كما عمري كئيبْ

الموتُ يا أبتي اصطفاكَ

الموتُ والقلبُ الوجيعْ

الآن أدركُ ما جهلتُ مِن الحياةِ

مِن المَماتِ

الآن أفقِدُني

ومِن منّي أضيعْ

الآن يخبرُني رحيلُكَ

أنّه رحلَ الجميعْ

اللّيلُ شاهدُنا الوحيدْ

فهنا الفناءُ

وقد تشبَّعَ بالخلودْ

وهنا

ولكنِّي وقفتُ

وكم توقَّفَ ها هنا الرّجلُ الوحيدْ؟

الآنَ نبدو في المرايا الجائعاتِ لوجههِ طيفًا

وظلًّا

الآنَ يفترسُ الخيالُ حقيقتي

تتفرّسُ الأحداقُ

تنظرُ جيّدًا

تتلمّسُ الوجهَ الشّبيهَ

الصّوتَ

قائمةَ الهمومِ

الشّيبَ

تسألني أنا

وأنا الذي كفكفتُ وحدتَهَا أفجَّرُ بالنّحيبْ

نيسانُ يا «فدوى» أرادَ

ولا مَرَدَّ لما يُريدْ

لكنّه وجعُ المقاعدِ

والمحابرِ

والقصيدْ

وجعُ الفراغِ بأنْ يذيبَك ما احتواهْ

وجعُ الملامحِ إذ بحثتَ عن الّذي

قد كانَ رؤياكَ البعيدةَ في الرّؤى

والآنَ حتمًا لن تراهْ

وجعُ الصّباحِ

وقد ذوى فيهِ الألمْ

نوحُ الدّفاترِ والقلمْ

ياءاتُنا

ويجيبُ مَن نادى بحرقتِه العَدمْ

تلك الخُطى

وقعُ الخطى فوقَ السّلالمِ

حين يأكلُها البعيدْ

صمتُ النّعالِ الواقفاتِ ببابِ مَن رَحَلت خطاهُ

ولن يعودْ

موتُ السّجائرِ في صناديقٍ

يحنّطُها الغبارُ مِن الجمودْ

نَيسانُ يا «فدوى» يحطِّمُ طيننَا

باسمِ التّحرُّرِ بعدَ تحطيمِ القيودْ

ويكونُ نَطْعًا إن أرادَ

يكونُ سيفًا إن أرادَ

يكونُ حقلًا إن أرادَ.. مِن الورودْ

يا رحلةَ العمر القصيرِ مِن البطونِ

إلى اللّحودْ

الموتُ يا أبتي

وهذا اللّيلُ يا أبتي كئيبْ

اللّيلُ إذ يُخفي المواجعَ

بعد ذكركَ بابتسامةْ

إنَّا وقوفًا للصّلاةِ وما تقدَّمَ

منذُ أن فارقتنَا أحدٌ

وكبَّر بالإمامَةْ

أمورُنا مخلوجةٌ

وجومُنا يفسّخُ الكلامَ والحديثْ

ليجمعَ الهدوءُ ما أفتيتَ مِن حديثْ

ويشرُدُ الحوارُ مِن شِرودِنا

ويشرُدُ الحديثْ

وحينما نعودُ من خيالنا

تقومُ للدّموعِ في عيوننا القيامةْ

أبي

أبي وكلُّ ما ارتأيتهُ في والدي غريب

مسيرهُ غريبْ

وقوفهُ غريبْ

عاديُّهُ غريبْ

غريبُهُ غريبْ

شرودُه.. انتباههُ.. انشراحهُ..

انقباضهُ.. اصطباره.. انفعالهُ.. غريبْ

حتّى ارتقاءُ روحِهِ من مَدرجِ الحياةِ للسّماءِ

موقفٌ غَريبْ

أبي الرّقيقُ واللّطيفُ والحييُّ في حضورِه

حضورُه مُهيبْ

وهجرُهُ مهيبْ

أبي

أبي وفي سكوتِهِ خشوعُ مَن تحصَّنوا

بسورة الفلقْ

في صوتِهِ قصيدةٌ

أحالها الوقارُ للغرقْ

في كلِّ ما يقولُهُ

إن قال أو كتَبْ

في كلِّ ما يبثهُ

إن ردَّ أو شجبْ

حكايةُ الصّفيحِ والخيامِ مُذْ لجَأ

وكان رغَمَ شَـقوَةِ السّنينِ في رحيلِها

يفيضُ بالألقْ

أبي

أبي ولو رأيتَه

لعدتَ من شرودهِ لوجهِ مَن ترفّعوا

عن لوثةِ البقاءْ

ووجهِ مَن تشرَّبوا اللّجوءَ

والنّزوحَ

والعناءْ

وكفِّ مَن تسلّقوا

شواهقَ البكاءْ

وثغرِ مَن تبسَّموا

لأنّهم تشجَّروا في مشتلِ النّقاءْ

وحينما يعيدني الوجودُ في ملامحٍ

لملمحِ الفناءْ

وعينِه ال تضجُّ في بريقِها

لأعينٍ تجمَّدتْ

من وحشةِ المساءْ

أكادُ إذ تُعيدني

ألَّا يكونَ بين رعشةِ الرّقود والحياةِ

مِن دماءْ

ألَّا يكونَ بين لحظةِ الجنونِ والأناةِ

مِن رجاءْ

أكاد إذ تُعيدني

أن أُمسِكَ الفنجانَ مثلَما مَسَكْ

وأتركَ الفِراشَ ضمنَ طقسِه الغريبِ

مثلما ترَكْ

أن تهلكَ الطريقُ في دواخلي

لقادِمٍ هلَكْ

أبي

أبي ولو رأيتَهُ

لقلتَ هل يعيشُ بيننا

في الأرضِ من رَسولْ؟

ولو رأيتَ خُلْقَهُ

لمستَ باحمرارهِ تنسُّكَ البتولْ

ولو شممتَ تبغَه

لراقكَ الدّخانُ من مباسمِ الدّخانِ

كالبَخُور

وفي شموخِ والدي

شموخُ مَن تشرّدوا

وأُسكِنوا الخيامْ

وفي حديث والدي تَشْتَمُّ عطرَ «رملةٍ»

لتسمعَ الرّياحَ في سهولها

وتلمسَ التّرابَ في الكلامْ

وطالما عرفتُ أنَّ والدي

عرفتهُ من طينةِ العظِام.

نَعَم فارغَة

لأنّني الألمْ

لأنّني الجراحُ مِن كوارثٍ

ومبعثُ النّدمْ

لأنَّ مَن يريدُني

وشاءَ أن يقولنَي

حقائقًا بشعرهِ

سيكتبُ العدَمْ

رحلتُ يا صديقتي

بعُجرتي

وبُجرتي

ولوثةٍ بخنجري

وقد غدا بأضلعي يشقُّ ما التأَمْ

وهكذا تبدّدَتْ

أحلامُنا تبدّدَتْ

فيومُنا كأمسِنا المسلوبِ مِن جراحنا

المنشقِّ عن أنينِنَا

ومثلُهُ غدًا

تفحَّصي ملامحي

تجسَّسي المَنزوعَ مِن حياتهِ

تفرَّعي لو مرّةً بصدرهِ

فمِن هنا عذابُهُ

ومِن هنا اكتئابُهُ

ومِن هنا ستسلكينَ دربَ مَن تسلّقوا

ليبلغوا القممْ

أعيشُ في زِنزانةٍ

تعفَّنت صخورُها

تقارَبت شقوقُها

ودمغةُ الظّلامِ في كوَّاتها الحزينِ نورُها

على شفا ندامةٍ

تكادُ من غِربانِها

وطالما تجمَّعت

بسطحها غِربانُها

أن تمنحَ الفراغَ في سقوطِها.. سقوطَها

وتبلغَ القرارَ للسّأمْ

أخافُ من غرابتي

تناقضي

فكلّما استُبِحتُ من دُعابةٍ

وأشرقت نواجذي

ببسمةٍ خجولةٍ

تلبَّدتْ وساوسي مخاوفًا

لحجبِها

وطَمسِها

لتستحيلَ حسرةً بشَقوةِ الظُّلَمْ

ومن دمي قصائدي

تشوبُ مفرداتِها كِياسَةٌ

تسيلُ حينما تسيلُ فطنةً

وأحتفي بحمقِها وجهلِها العميقِ

ساعةً فساعةً

لأشتمَ النّقاءَ في قصيدةٍ

وأمدحَ الغباءَ في قصيدةٍ

ويُدمجانِ غيلةً إن عاندا معًا

لأنّني الألمْ

لأنّني الجراحُ من كوارثٍ

ومبعثُ النّدمْ

أخافُ أن أحبّكَ بقسوتي

أن تجلِدَ الضّياءَ في أناملٍ

مددتِها كنورسٍ

ضلائلي وعَتمتي

أخافُ أنْ أخافَ أنْ أحبّكَ

فكيف يا صديقتي

أسيرُ إذ أسيرُ للبحارِ إن دعوتِني

مُبتَّرًا كأحرفي

ودونما قدَمْ؟

وكيف جاءَ وجهُكِ

ـووجهُك قصيدةٌ

أخافُ أن أصوغَها ـ

يريدُ ما يريدُ مِن رقائقٍ

وفي الضّلوعِ صخرةٌ

تحجُّها الرّمالُ مِن صنمْ؟

مفارقٌ لأنّني

مُنعتُ مِن منابعي

فجئتِ في حقيقةٍ

كعارضٍ

وغيمةٍ

وشاطئٍ ويَمْ

فكيفَ يا صديقتي

منحتِ في دقيقةٍ

مراكبي

ـبوهنِها وضعفِها وعجزِها ـ وطَن؟

وكيفَ مِن ذؤابةٍ

أشابها زمانُها

نَسجتِ لي طفولتي

ودربُنا حَطَمْ؟

مفارقٌ

فحاولي

لأجلِ مِن تحاولي

أن ترحلي إذن

وصدّقي كوارثي

تهجُّمي.. صغائري

كبائري.. شتائمي

وكلَّ لاءٍ

كلَّ لاءٍ ـصدِّقيـ وإنْ عنَتْ نعَم.

مدينةُ البن

«عمَّانُ» تسكنُ نفسَها هذا الصباحْ

لا صوتَ فيها غيرُ أجراسِ الأماني

لا صوتَ إلّا ما توشوشُهُ العجائزُ

مِن دعاءْ

إنّني الرّاوي الّذي

قصَّ الرّوايةَ مِن بدايتها

وظنَّ لها ابتداءْ

لكنّها بدأت بأرضي

ثمَّ أرضي

ثمَّ أرضي

ثمَّ كرَّرتُ الذي كررتُهُ

دونَ انتهاءْ

إنّني الصّوتُ الّذي

يدوي بعيدًا مِن فمي

وأنا ارتدادي

وارتدادُ الآخرينَ اللّا يرونَ

مِن المساءِ سوى الضّياءْ

باسماتٌ مَن يسِرنَ مُحملَّاتٍ بالتّعفّفِ

تحتَ أنظارِ البَرَدْ

وأنا ألملمُ من حديثِ الضّارباتِ بخُمرِهِنَّ

قصيدتي

وألملمُ البجعَ الّذي

سكنَ العيونَ النّاعساتِ

لشاطئي

والفجرُ غافٍ

والسّتائرُ غافياتٌ

خلفَ نافذةِ اللّيالي المقمرةْ

«عمّانُ» تختصرُ العواصمَ

حينَ تنغمسُ العواصمُ في المدينةْ

وجهانِ

والوجهُ الرّقيقُ

ووجهُها

ويدانِ تحتضنانِ أوجاعَ المُسافرِ

ما تسَاقطَ مِن سقوطِ الذّكرياتِ

وما تناثرَ من دمِ الأوراقِ

في كفِّ الغريبِ

وفي المدينةِ

حيثُ تجتمعُ البداوةُ بالحضارةِ

والحماسةُ بالنّسيبِ

هناكَ صدرٌ واحدٌ

لا زالَ يحتضنُ الجميعْ

وهي الشّوارعُ تُنجبُ البسطاءَ مثلي

تُنجبُ الأحلامَ في صدرِ المشاةْ

كلُّ الوجوهِ هنا كوجهي

بعضُ ما قالته صاحبةُ الجديلةِ

كانَ منّي

قصّتي

هي قصّةُ الرّجلِ الّذي

يمشي وحيدًا

قصّةُ الجارات يَنسِجنَ الحكايا

عن بلادِ «القدسِ»

عن ذاكَ الغريبِ

وصارَ جزءًا

مِن زقاقِ الحيّ

مِن تينِ الطّريقِ

وصارَ جزءًا

حين لا يبدو غريبًا للتّرابْ

قصةُ التّلميذِ يُسرعُ

ثمَّ يلتقطُ الدّفاترَ

بعد بعثرةِ المشاعرِ

ثمَّ يمضي شاعرًا

هو شاعرٌ مثلي تمامًا

لا يجالسُه أحدْ

شاعرٌ

ما زالَ يبحثُ في القصيدةِ عنهُ مثلي

لا يجالسُهُ أحدْ

وأراه يشبهُني تمامًا

حين يسمعُ صوتَ شاحنةِ الطّحينِ

وصوتَ ما التهمَ القطارُ

من المسافاتِ البعيدةِ

ثم يأتي بائعُ الكعكاتِ

يختصرُ القصيدةَ بالنّداءْ

«عمّانُ»

تدنو الشّمسُ منها

والمنازلُ تستحمُّ من اللّيالي والمطرْ

تتحرَّرُ الأنوارُ من أضوائها

تمضي لميقاتٍ جديدٍ

مِن جديدْ

ومدينةُ البنّ الذي تشتمُّهُ الطّرقاتُ

يلثِمُ ماءَهُ

ويراقصُ النّيرانَ أيضًا

ومدينةُ الوجهِ الجميلِ الآن تبدو

بعد أن مدَّت يديهَا كي أقبّلَها

وأمضي

في صباحِ اليومِ أمّي

بعد هذا اللّيل أجمل

بعد هذا الغيثِ أجمل.

كوبُ شاي

أتعرفُ ما الّذي يُبكي

ويَمنعنُي عن الإفصاحِ في ألمي

فلا أحكي؟

:أنينُ الحزنِ

واستسلامُ أحداقي

بأن تستوردَ الأحزانُ

أصنافًا مِن الأحزانْ

وأشكالًا من الأشجانْ

ضُمورُ الشّوقِ للمجهولِ

مُصفرًّا ومُزدهرًا

وما تُغني عُطورُ الزّهرِ للأزهارِ

إذ قُطِفَتْ

ودبَّ العجزُ في كيْنونةِ الأغصانْ؟!

ضَياعُ الدّربِ

أشواقي لمن ضَاعوا

فما عَادوا لأوطاني

ولا شُغِلتْ مقاعدُهمْ

فظلَّ المَقعدُ الخاوي

وحيدًا

وجهُهُ ذاوٍ

تسمَّرَ في مهبِّ الرّيحِ

والإعصارُ يضرِبُهُ

فما أغْنتْ عزيمتُهُ

ولا ذكرى بطولاتٍ

أمامَ تذبذبِ الأركانْ

ركضتُ وراءَ مَن ذهبوا

أقيلوني مِن الأشواقِ

وانتظروا

أقيلوني مِن الأحزانِ

وانتظروا

ركضتُ ألملمُ الأيامْ

وظلَّ الرّكبُ مرتحلًا

زمانٌ ذابَ بالنّسيانْ

تَريَّثْ صاحبي.. هاجَرْ

توقَّفْ إنّما.. هاجَرْ

ولحنُ اليأسِ يعزفُني على وترٍ

فلا صوتي غدا صوتي

ولا زمني غدا زمني

أنا الإنسانُ فارقني

وودَّعني هو الآخرْ

فلمَّا عدْتُ أدراجي

وشاءَ الله أنْ أحيا

وجدتُ الأرضَ مِن بعدي

قِفارًا أصبحتْ أرضي

وجدتُ العِشقَ في أرضي

من الإذلالِ قد سافرْ

حضنتُ الخوفَ

والأشواكُ تحضُنُني

نزَعْتُ ملابسَ الإحرامِ

عن جسدي

فأينَ الشّمسُ؟

أينَ البدرُ؟

أينَ العمرُ؟

أينَ الوقتُ؟

إنَّ الوقتَ قد غادرْ

لذا قدمايَ تُؤلمُني!

تُرى هل طالَ بي سفري؟

ألستُ وُلِدتُ في أمسي؟

أليس غدًا هو الذكرى لميلادي؟

لذا روحي تشكُّ بأنّني أحيا!

فهل أحيا.. ولا أحيا؟

أنا جسدٌ بلا روحٍ

أم الأرواحُ إن تعِبتْ

تضيعُ ويختفي المظهرْ؟

لقد ضيَّعتُ يا «فدوى»

صبيًّا كان يعرفُني

له وجهٌ.. أظنُّ بأنّه وجهي

له صوتٌ.. أظنُّ بأنّه صوتي

لهُ في الشّعرِ تَجرِبَةٌ

وخربشَـةُ على الحائطْ

تحاكي عمقَ تَجرِبتي

وأثوابٌ مُرقَّعةٌ

وأوراقٌ مبعثرةٌ

وأقلامٌ مكسّـرةٌ

وآهاتٌ.. أظنُّ بأنّها ألمي

رآني فرَّ في عَجَلٍ

تلاشـى أنْ أُحدِّثَهُ

أُنادي: يا رقيقَ الخدِّ

حدِّثني ولا تفْزَعْ

فجبنُ الأمسِ لا يَنْفَعْ

وهذي صفحتي السوداءُ

فامحُ ما روى قلمي

وعاتِبْني على زمَني

وَقَفْتُ

سألتُهُ

أنصَتْ

تجرَّأ واحمرارُ الوجهِ

يفضَحُ أنَّهُ منّي

بأنْ ينسابَ في وَجَلٍ

ويرفضَ أنْ يحاورني

كأنّ الأرضَ ترفُضُنا

وتمنعُنا ولو قَدَرًا

بأنْ ألقاهُ في صِغَري

وأنْ ألقاهُ في كِبَري

بعيدًا ذابَ فارقَني

قَصصْتُ خطاهُ ضيّعني

صرختُ بهِ:

أيا هذا توقَّفْ

تلك عَفْرَتتي

تربَّثْ يا فتى.. هاجَرْ

توقَّفْ

إنّما هاجَرْ

وكان الوحلُ يُبطئُ خُطوتي

قسرًا

ومِنْ مُستنقعٍ أنجو

لأغرقَ مرّةً أخرى

بواحاتٍ مِن الألمِ

لقد فتَّشْتُ عن قلمي

فضاعَ الحبرُ مِن قلمي

وسادَ الصّمتُ في صَفّي

فرحتُ أمازِحُ الأولادَ

لكن.. لم يعُدْ أولادْ

وهذا موعِدُ الطّابورِ

أين الجمعُ والأصحابْ؟

تبخَّر ذلك الماضي

وبعثَرَني مع الأوراقْ

شريتُ فلافلَ الإفطارِ

فلتصنعْ يداكِ الشّايْ

عسايَ نسيتُ أُخبرُكِ

بأنّ الشّوقَ نَهْنَهني

كآهاتٍ بثغرِ النّايْ

لذاك الشّايِ يا «فدوى»

لذاك الشّايْ

لقد ضيَّعتُ يا «فدوى»

بكاءَ الطّفلِ في عيني

لعُمقِ بُكايْ

نقاءَ الصّوتِ في شفتي

لقُبحِ غُنايْ

جمالَ الكونِ في بصري

لضيقِ رُؤايْ

سُكوني

طيبتي

أَلَقي

أكادُ بأنْ أكونَ أنا

لِلحْظاتٍ أكونُ أنا

فأَلقاني أكونُ سوايْ

أعِدْ لي يا زمانَ القهرِ

ما ضيَّعتَ مِن عمري

أعد لي قلبيَ الأبيضْ

وأحلامي وفجرَ صبايْ

أريدُ الطفلَ

ذاك الطفلَ لا أكثرْ

أريدُ تسلسُلَ الأيّامِ

والإبحارَ في جهلي

أريدُ الحزنَ

بادِلْني بأحزاني

أريد الحزنَ أنْ يبدو

كحزنٍ دونَ أن أُقْهَرْ

أريدُ تناوُلَ الإفطارِ مع «فدوى»

وكوبَ الشّايْ

عسايَ نسيتُ أخبرُكِ

بأنّ الشّوقَ نَهنهَني

كآهاتٍ بثغرِ النّايْ

لذاكَ الشّايِ يا «فدوى»

لذاكَ الشّاي.

سُطور

الحزنُ يا صديقتي يقودُني بعيدا

يقودُني مُكبَّلا بالقهرِ فوقَ قهرهِ

يجرُّني مُسوَّرًا باللّيلِ في دهائهِ

كأنَّ لا فرارَ مِن براثنِ الطّريقِ إذ تلوكُني

مُمزَّقًا

شريدا

كأنَّ لا قرارَ أن أسيرَ صوبَ عالمي البسيطِ

أو أعودا

فتيبَسُ ارتعاشتي

في الدّربِ مِن مخاوفي

وحينما يُعيدُني

يُعيدنُي قليلا

مِن كَثرتِي قليلا

وحينما أقاومُ الشّقاءَ في مدينتي

الشّقاءَ في قصيدتي

وأحْطِمُ الحواجزَ

الجدرانَ

والسّدودا

وأشنقُ السّياطَ بابتسامةِ البريءِ بعدما

تُطَوّعُ العظامُ بعد بعثِها الحديدا

أعودُ مِن سخافتي مُحمَّلًا بخيبتي

وواهمًا بليدا

أعودُ أو تُعيدُني الأحزانُ يا صديقتي

مُمزّقًا قليلا

من كَثرتِي قليلا.

رفاتُ بِل

سرَّحتُ شَعري

كان شَعري أسودًا

غضًّا تبعثرُهُ الحُقولْ

ونَقرتُ تابوتَ الظّلامِ

لتبزُغَ الأنوارُ فيهْ

حاولتُ أن أمضي

فلم يمضِ المضيُّ

ولا استحثَّ العجزَ في روحي الخمولْ

أنا ضدُّ أن أبقى

ولكنّي إلى ضدِّي أميلْ

قل للمسافرِ: قد خسِرتَ مقاماتِ الصّبرِ

في وكرِ العِنادْ

واستنزفَ القحلُ الحياةَ

ومصَّ وقتَيها اِلبعادْ

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثم يجبُّ أمتارَ البلادْ

رجلٌ عجوزٌ يحملُ الدّنيا

يمرُّ أمامَنا

لا أمَّ لهْ

رجلٌ عجوز يَختِمُ الأوراقَ

قبلَ وداعنا

لا أمَّ لهْ

وحدي ومَن رحلوا أماطوا الحزنَ

عن حزنِ بليدْ

كلُّ المراكبِ أنكَرتكَ

فلا تسلْ أخشابَها

كلُّ الحوافلِ تَوّهتْكَ

وضيّعَتْ ركَّابَها

كلُّ القطاراتِ ال تروحُ إلى البعيدْ

لا نفعَ للتّاريخِ إن كانت بدايتُه هنا

لا نفعَ للوقتِ المُكرَّرِ

إذ يجيءُ بلا جديدْ

مَن جذَّرَ الأوطانَ في أرواحِنا

مِنها هربْ

مَن كانَ يرفضُ شعوذاتِ السّحرِ

غيبَ الطّيّبينَ

البرزخَ الكونيَّ

آمنَ بالخُرافةِ والعجبْ

حدّثتكِ عن نهدِ مَن أحبُّها

إذ شاختْ العروقُ في كرومِها

لا فضلةً في النّهدِ مِن نَبيذها

ولا عنبْ

مِن روحِها تفوحُ مُنذُ نصفِ ثورةٍ

روائحُ الحريقْ

سُعالُها المَكرورُ مثلُ نشرةِ الأخبار مرهقٌ

لها وليْ

ما خبَّأت مِن وسوساتٍ

لا يروقُ للضّجرْ

لها وليْ

عجيبةٌ ألحانُها

وحيدةٌ

لا قطّةٌ تموءُ خلفَ بابها

لا ساعةٌ تقصُّ غيمةَ الجمودِ في فضائها

عميقةُ كمِحبرةْ

أثاثُها القديمُ

والبلاطُ

والسّتائرُ المُمزّقةْ

أبوابُها المُعطّلةْ

سريرُها

تلفازُها

صحونُها

والمِنفضةْ

عميقةٌ كمِحبَرةْ

عكَّازُها القصيرُ قد يخرُّ ساجدًا

وظهرُها انحناءةٌ

ما قوَّمَتْ غصونَه الجُذورْ

«ويانسُ» الصّلاةِ شعرُها

فراشُها أثوابُها

ونعلُها أقدامُها

ويجهلُ الرّصيفُ _حينما يضجُّ بانفعالهِ

من خُطوةٍ تجرُّها في البطءِ_

سرَّ تمتماتِها

ويسقطُ السّكونْ

ويُكسرُ الجمودُ

والهدوءُ

والبرودُ خلفَ بابِها

وبابُها لديكْ

يا أنتَ حينما كسرتَ حاجزَ الفضولِ

واندفعتْ

حملتَها

قفزتَ قبلَ أن تقولَ: لا عليكْ

وضعتَها أمامَهم

:مَن هذه العجوزُ؟

مَن تكونُ؟!

قال صمتُهم

لكنَّها.. وقبلَ أن تجيبَهم

وقبلَ أن يفتّشَ الفضولُ في حقيبةِ الكلامِ

عن حياتها

تبسَّمتْ

ولملمَتْ غموضَها

وغادرتْ

وغادرتْ كما يغادرُ التّرابَ

بعد موتهِ الشّجرْ

الموتُ لا سواهُ مَن يوزِّعُ البلادَ

في مداهْ

وتقفِزُ القُرى

وتهربُ البيوتُ بعدَ وثبةٍ مُميتةٍ

مِن كوَّةِ السّفرْ

ويصعَدُ الفضاءُ بعد يأسهِ

سلَالمَ القَدَرْ

سرَّحتُ شعري

كان شَعري أشيبًا

جعدًا يميلُ إلى الحياةْ

ومسحتُ وجهي مِن دموعِ صغيرتي

فرِحًا وتعلمُ أنّني إن غبتُ

رجَّعني الطّريقُ لقبلتينِ

على الجبينْ

بعضي يغادرُني

وبعضي في عناقِ الياسمينْ

كيلا أسافرَ يسرقونَ حقيبتي

وتعلّلُ الأنثى الّتي أحببتُها:

في اللّيلِ طار قميصُكَ المبلولُ

رفضًا للفِراقْ

أتوسدُ الصّفصَافَ حين يذوبُ بيْ

وتذوبُ بيْ

حتّى كراسي الحقلِ

تعلمُ ما يخبّئهُ العِناقْ

كم لهفةٍ صُلبتْ هناكَ

وكم صَلبتُ مواجعي؟

هم يسرقونَ تذاكري

وجواربي

وأنا الّذي في الظلّ تضحكُني الألاعيبُ الصغيرةْ

طفلينِ كنَّا ننجبُ الأطفالَ

في حُمَّى الهَجيرةْ

طفلينِ كنّا

نعشقُ الدّنيا وهذي الأرضَ

مِن قبلِ البَنادقِ

والفيالقِ

والعيونِ البَربريّةْ

أهملتُ شَعري

كان شعري أبيضًا

هشًّا

ومهترئًا

يميلُ إلى المَماتْ

السّارقون تدافعوا للطّهرِ مِن بابِ الحَرامْ

لم يحتملْ قلبُ العذارى العشقَ

في وطنِ الغرامْ

لم يحتمل صوتُ الكَنارِ القطعَ والتّشويشَ

في بثِّ الظّلامِ

وبقيتُ وحدي

والضّريبةُ من دماءِ المتعبينِ ال لم يكونوا

ذاتَ يومٍ في الأمامْ

وبقيتُ وحدي

إنّني المشدوهُ مِن نورٍ بعيدٍ في حنايا الذكرياتْ

وحدي ومَن رحلوا تِباعًا

يحملونَ المعجزاتْ

ماذا كتبتِ عن السّرائر والحروبْ؟

ماذا كتبتِ عن الضّمائرِ

حين تدخلُ كلّما احتجنا لها

فصلَ السّكوتْ؟

من قادنا لبعيدِنا.. يدري بأنّا لن نعودْ

حدَّثتكِ عنهم وقلتُ لكِ الكثيرْ

كانوا جميعا يكتبونَ النّثرَ

تحت صفيحِهِمْ

رحلَ المُجيدُ

وغادرَ الدّنيا بدنياهُ الفصيحْ

رحلا

ولكن لم تزلْ

في النّثرِ طَقطَقةُ الصّفيحْ

كم مزعجٌ نثرُ الصّفيحِ على اسطواناتٍ

يرافقُ صوتَ مَن فيها التّعبْ

كم مزعجٌ والصّمتُ يبدو مزعجًا

مثلَ المسافةِ بينَ حرفينِ استُمِدَّا مِن غضبْ

فتفرَّقا يومَ استذلَّا.. للمعاني الضّائعةْ

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثمَّ يجبُّ أمتارَ البلادْ

عيناكِ تختزلانِ ضَوءَ الحرفِ

في الوقتِ القليلْ

ويداي تمسحُ عن أكاذيبِ القصائدِ طيشَها

وتصوغُ عِقدًا للرّموشِ الباسقاتِ

إلى جهاتِ المستحيلْ

وأقولُ عنّي ما يفجّرُ من سكوتي ألفَ صمتٍ

في العويلْ

لو كانَ هذا الصّمتُ ليْ

لو كانَ هذا الحزنُ يصلُحُ للغناءْ

لكنّه المعنى ال يضيعُ معَ الهواءِ

ومِن شفاهي

مِن حديثٍ قالَهُ وجعي

وصدَّقهُ البكاءْ

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثم يجبُّ أمتارَ البلادْ

أأنتَ ستسألْ؟

ومِن ثمَّ تسألْ؟

وتقسِمُ أنَّكَ أنتَ

وكلّ النّوافذِ

كلُّ الشّراشفِ

تعرفُ أنَّ الّذي جاءَ أنتَ

وهذا السّريرُ لتزرعَ قمحًا

على ضفّتيهِ

وهذي الشّموسُ

ووجهٌ حنونْ

ولستَ تبرّرُ بعدَ الرّجوعِ لها ما أعاقكَ قبلَ الجنونْ

تركتَ لها أن تدورَ بكلِّ السواقي

لضخِّ الشّكوكْ

تركتَ لها ما يريدُ الخيالُ لهُ

أن يكونْ

فكانَ الضّجيجُ الّذي في السكونْ

لذا حينَ قالت لها الأرضُ كوني.. استفاقتْ

ولمَّا أرادت لها أن تشيخَ.. استدارتْ

ومرَّت عجوزٌ تبيعُ الدّقيقَ

وبعضَ الحشائشِ

كانت تبيعُ لكلِّ الجناةِ قلوبًا رقيقةْ

ولمَّا تأخَّرتِ المعجزاتُ

وبعضُ الأماني استراحتْ بقلبٍ

شوَتهُ الحروبْ

فكيفِ لأنثى ترى نفسَها بعد خمسينَ عامًا

بأن تتحدّثْ؟

وأنتَ تشاهدُ تلكَ الفروقَ

وتلكَ النّدُوبْ؟!

رأتكَ تخونُ السّريرَ بآخرْ

تخونُ اليدينِ بأيدٍ تمدُّ لها عالمَكْ

رأتكَ بطهركَ

فسقِكَ

ما كنتَ فيهِ

وما لم تكنْ

ولم تتحدّثْ

فكيف لأنثى ترى نفسَها بعد خمسينَ عامًا

بأن تتحدّثْ؟

حفرتَ الرّجوعَ ودربَ الإيابْ

حفرتَ الخيالَ بمِسمارِ روحكْ

حفرتَ بعظمكَ قبل انتحارِ الشّبابْ

هناكَ الشّموسُ ووجهٌ حنونْ

هناكَ السّريرُ لتزرعَ قمحًا

على ضفّتيهِ

ولا زلتَ في حفرِكَ المُستَميتِ

لذاكَ النّفقْ

أأنتَ؟ ستسألْ

ومِن ثمّ تسألْ

ومن ثمّ تبكي

وتبكي عليكَ

أأنتَ؟

وتقسمُ أنَّكَ أنتَ

وكلُّ النّوافذِ

كلُّ الشّراشفِ

تعرفُ أنَّ الذي جاءَ أنتَ

ومرَّت عجوزٌ رأتكَ قديمًا

تبيعُ الحليبَ

وبعضَ السّرابْ

تبيعُ لمن لا يعودُ الغيابْ

كما باعت الحربُ.. كلَّ المدائنِ

كلَّ القلوبِ

بسوقِ الخَرابْ

حمَلتَ الّذي كانَ منكَ وسِرتَ

حملتَ السّنينَ وما مرَّ منها

ولم تتحدثْ

أنا ضدُّ أن أمشي

وأمشي

عشرونَ عامًا في المسيرِ ولم أزلْ

في البحثِ عن منازلٍ بعيدةٍ

لا يسكنُ الشّحوبُ في فضائها

لا تسألُ الطّرّاقَ عن أوجاعهم

وحين يرحلونَ لا تَشي بهم

وتلوحُ الصّدفةُ

تلكَ مدينةُ أشباحٍ

لا تعرفُ أوزانَ الشّعرِ

ولا لغةَ الوردِ

ولا أنغامَ المَطرِ على الإسفلتِ.. يَئِنُّ حنينًا

قد كانت يومًا

لا يعلمُ ما كانت إلّا

مَن مرَّ عليها

قد خَبزَت يومًا للشّعراءِ الرّيحَ

الشّمسَ

وقلبًا أنهكَهُ العشقُ

وقبلةَ عاشقةٍ خجلى

في فُرنِ قصيدةْ

حين فتحتُ البابَ

وجدتكِ جالسةً في فوضى الحُجرةِ

أنتِ؟

أأنتِ؟

وقرصتُ يقيني

وذهولي

وفركتُ عيوني

أنتِ تمامًا!

لا يوجدُ خلفي إلّا ما ترَكَتْ أيّامي

لا يوجدُ ما أحكي عنهُ تمامًا

ممتلىءٌ ذاكَ الأمسُ وفارغْ

ممتلئٌ في صوتِ المِذياعِ

وفي صحفِ الأزياءِ

وعُنوانِ جريدةْ

ممتلئٌ منّي

إذ يسقطُ منّي.. منّي مِن بين يديّ

إذ لا يوجدُ خلفي

ما دلَّ عليّ

فالقمحُ النّابتُ في صوتي

ما دلَّ عليّ

والبحرُ الجالسُ في عيني

ما دلَّ عليّ

كلُّ هذا اليأسِ يأخذُني

ويدفعُني إليّ

كلُّ هذا الحزنِ يذبحُني

ولا يَقضي عليّ

حينَ يسقطُ منّي.. منّي

مِن بين يديّ

إنَّه قلبي كمَا حظّي شقيّ

ماذا كتبتِ عن السّرائر والحروبْ؟

ماذا كتبتِ عن الضّمائرِ

حين تدخلُ كلّما احتجنا لها

فصلَ السّكوتْ؟

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثمَّ يجبُّ أمتارَ البلادْ

خلفي المدائنُ حين لم يبقَ هناكَ

سوى الجمادْ

أنا ضدُّ أن أمشي

وأمشي

عشرونَ عامًا أحملُ الدّنيا على ظهري

وأمشي

أحملُ الجبلَ المسمّى الشّعِرَ في صدري

وأمشي

أقلعُ الشّوكاتِ مِن صوتي

ومِن ظلّي

وأمشي

عشرونَ عامًا

والطّريقُ إليَّ يبدأ بانتهائي

أنا ضدُّ أن أمضي

ولكنّي.. إلى ضدّي أسيرْ

قلتُ اتبعيني كي أراني ضاحكًا

وأدرتُ ظهري ضاربًا حدَسي بشكِّ الموجِعاتْ

فَلتطعَنيهِ كما طُعِنتُ مِن القلوبِ الصادقاتْ

إنَّا امتلكنا كلَّ أسبابِ القطيعةِ

والملامةْ

لم تبتسمْ في مسرحِ التّهريجِ

والتّمثيلِ رغمِ أدائنا

منّا ابتسامةْ

إنّي حملتُ لكِ الورودَ

كما حملتُ سنابلي

قد خِفتُ مِن حملي لقلبي

ليسَ لُغمًا

كي تفجِّرَهُ الشّرايينُ ال تكدسُّها المصائبْ

ليسَ قبرًا

كي أنبِّشَ عن عظامِ الميّتينِ

ولا شواهدْ

ليسَ صُندوقَ العجائبْ

في دوائرهِ الزّوايا المُغلَقاتْ

كلُّ الغصونِ بلا ثمارٍ

أو جُذورٍ

أو ورقْ

وأسمِّدُ المعنى بيأسِ الحالمينَ اللا يرونَ غدًا

لحاضرِهم وليْ

معجونةٌ روحي بخوف المُرهقينَ مِن الأرقْ

مدموجةٌ باللّيلِ

لا قمرٌ يُطلُّ على النّوافذِ

إن فتحتُ نوافذي

أنا عكسُ ما أمضي إليه

أنا ضدُّ هرولتي

لأقبضَ ما أردتْ

تتنافرُ النّقطُ السّريعةُ

والمحطّاتُ الّتي

ولدَت مِن الأشباهِ أشباهًا معي

روحي بعكسِ توجُّهي

لا ردةٌ للفعلِ في هذا الفضاء

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثمَّ يجبُّ أمتارَ البلادْ

إن الشّواطئ والقواربَ

لا تُشابِهُ ما رأينا مِن مُحيطْ

مَن قادَنا لبعيدِنا يدري بأنَّا لن نعودْ

تمضي بنا

رجلٌ عجوزٌ يحمِلُ الدّنيا

يمرُّ أمامَنا

لا أمَّ لهْ

رجلٌ عجوزٌ يختِمُ الأوراقَ قبلَ وداعِنا

لا أمّ لهْ

رجلٌ عجوزٌ يُشبهُ الوطنَ الّذي

تركَ العجائزَ ذاتِ يومٍ في الرّحيل

لا أمَّ لهْ

قالوا بأنَّ القبرَ رغمَ طفولةِ الأزهارِ

رغمَ الشّاهدِ المَخطوطِ في خطٍّ أنيقْ

ما داسَ تربتَه أحدْ

تمضي بنا

تمضي وتتركُ كلَّ قلبٍ كان فيها

كي تعودْ

كلُّ الأمام _وما مشَتْ تغتالهُ في الرّيحِ_ خلفي

إنَّ خلفي صوتهَا

ما تمتمتهُ وأرّخَتهُ على لسانِ الفجرِ دومًا

قصّةَ الذّئبِ الذي

ما تابَ عن غاباتِ ليلى

إنَّ خلفي ما سيأكلهُ أمامي

ما معي

ما ليسَ في هذي الحقائبِ

إنّه وجهي وظهري

قبلَ أن ينصاعَ للدّنيا

كما ذاكَ العجوزْ

إنّها الأختَامُ ما قبلَ الدّخولِ

أو الخُروجْ

تمضي بنا

أنا ضدُّ أن تمضي

ولكنّي إلى ضدّي أسيرْ

كلُّ المحطّاتِ الأخيرةِ

والمطاراتِ البعيدةِ

والقطاراتِ السّريعةِ لا تُحدّثُني

ولا تبكي معي

أنا لستُ أحملُ في الحقيبةِ غيرَ قبري

مثلما حملَ العجوزْ

وجهان ينتظرانِ خَتمًا

إنّهُ وجهٌ هنالكَ بانتظاري

إنّه وجهٌ تخضَّبَ بالضّياعْ

قال مبتسمًا: أتيتْ؟

أخرجتُ عمري من جوازي في مطاراتِ الوداعْ

خذ ما نَسيتَ مِن الحقائبِ إن رجعتَ:

ففي الحقائبِ نخلتانِ

ولوزتانِ ووزّتانِ

وضفّتانِ تجرُّها الأيامُ نحوَ اللّا لقاءْ

خذها ففيها صورةُ الطّفلِ البريءِ

صراخُ أمِّكَ

راحتاها تَعجِنُ الشّمسَ النَّحيلةَ

مع نشيجِ الوَسوسَاتْ

قل للمسافرِ: إن للأشجارِ موسيقا

تعلِّمُها البلابلُ للغروبْ

مَن قادنا لبعيدنا

يدري بأنّا لن نعودْ

لا يعلمُ الإنسانُ إلّا ما يَرى

حتّى إذا عصَفت بعينيهِ الرّياحُ

أتى الهدوءْ

في الكونِ يختلطُ الوجودُ مع البقاءِ

فلا هروبْ

خذها ففيها شَهقتانِ

وزَفرتانِ

وغُصَّتانِ

وبسمتانِ تراودانِ اليأسَ عن حقّ السّقوطْ

خذ ما نَسيتَ

ففي مطاراتِ الوداعِ.. حقيبتانِ يتيمتانِ

كنبضتينِ تعلَّقَتْ بهما خطاطيفُ الفِراقْ

وفي الحقائبِ صرختانِ على القبائلِ

حين مالَ الخيلُ

يَصهَلُ في الشّرودْ

كلُّ المراكبِ أنكرتكَ

فلا تسل أخشابَها

كلُّ الحوافلِ توّهتكَ

وضيّعَتْ ركّابَها

كلُّ القطاراتِ ال تروحُ إلى البعيدْ

كلُّ المطاراتِ الّتي رَدَهاتُها

تُفضي لمِا بعدَ الحدودْ

أمَّا أنا لا زلتُ أحترفُ البقاءَ

فلا فضاءَ

ولا بحورَ

ولا يُخوتْ

قلبي الحقيبةُ إن أردتُ حقيبتي

وقصيدتي سفري إليَّ

ورحلتي

وقصيدتي الإقلاعُ منّي

والهبوطْ

ليلٌ يجبُّ اللّيلَ

ثمَّ يجبُّ أمتار البلادْ

إنَّ الشواطئَ والقواربَ لا تشابِهُ ما رأينا

مِن محيطْ

ماذا كتبتِ عن السّؤالاتِ الّتي بقيَتْ هناكَ

بلا ردودْ؟

ماذا كتبتِ عن الحواجزِ والموانعِ والحدودْ؟

ماذا كتبتِ عن العجوزينِ اللّذينِ تبخَّرا

بعدَ الحروبِ مِن الوجودْ؟

مَن قادنا لبعيدِنا

يدري بأنَّا لن نعودْ.

كُتبت في رثاء المحامي السّوري: «عبيد آغا الكعكجي» الذي التُقطت له صورةٌ مؤثّرة بعدما قُصف منزلَه في الرّقة لينتقل إلى رحمةِ الله متأثرًا بجراحهِ بعدها بأيام في المشفى... واعتُبرت صورتُه بظلالِها الخضراء الأكثر إيلامًا في الحرب بعد إخراجه من تحت الأنقاض، حيث بدت الأتربة والدّماء تغطّي وجهه ولحيته البيضاء وشعره الكثيف وآثار الذّهول والألم تكسو ملامحه، وكأنّها اختصرت ما فعلته الحرب تمامًا بالإنسان في موطنه.

رُتوقٌ مثقُوبة

هذا ما بدأتُ بهِ:

قلبي يموتْ

لم يكترثْ أحدٌ

طرَقوا على الأبوابِ

ثم تزاحموا للنّيل منّي

:لا يملِكُ السّيافُ سيفًا كي يجابهَكم بهِ

وبها اتُّهِمتْ

داسوا على الأوراقِ

داسوني فقلتْ:

لا ذنبَ للأوراقِ

مُذ ضاجعتُها ما أنجَبتْ أملًا

لا ذنبَ للمسجونِ بعد تأقلمِ الجسدِ المُقلَّمِ

مع جدار السّجنِ

يخبرُ ساجنيهِ

عن الشّموسِ

ولا يصيحُ مِن الألمْ

وعنِ المشاعلِ إذ تضيءُ على النّوافذِ

والأزقّةِ

رغمَ أوجاعِ الحديثِ

ولا يصيحُ مِن الألمْ

لا ذنبَ للضّجر الّذي

تختارهُ القضبانُ

أو يُملى عليها كي تعاندَ نفسَها

ونفوسَ مَن تُمنى بهم

حتّى تصيحَ مِن الألمْ

شَدُّوا وثاقي

ألقموني حصوةً

فلثغتُ في الآهاتِ أصدرُها

مِن الحلقِ المُشقّقِ بالعَجَبْ

يستجوبونَ غدًا

ولا يُدلي بشيءٍ في البدايةِ والعِنادْ

ثمَّ يُدلي

قال: أمسي وجبتانِ مِن الطّعامِ

ووجبتانِ مِن الضّياعِ

ووجبتانِ مِن العَوزْ

والعجزُ يسترُ ما تبقّى

مِن مشاعرَ للغرامْ

حضرَ الأخيرُ

وكلُّهم خلفَ الأخيرْ

لم يبتسمْ

لم يقرأ الخوفَ المُخطّطَ في عيونٍ

لا ترى إلّا انعكاسَ وجودِهم

هذا لأنّي قد أردتُ وما أرادْ

هذا وحرَّرَ خافقي

حتّى يفكّرَ بالجحيمِ

أو الخلاصِ مِن الجحيمْ

رغم القذارةِ والقساوةِ

كان أكبرُهم صغيرًا

يأخذُ الدّنيا طقوسًا للجريمةِ والعقابِ

ودون ذنبٍ كان يجترعُ النّفوسَ

بقلبهِ الصّلبِ الزّنيمْ

هي بَصمةٌ

وامضِ إليها عبر سجنِكَ إن أردتْ

هي بَصمةٌ

لكنَّ إبهامي ال تعوَّدَ أن يُطيعَ الأمرَ

أمري لا يُطيعْ

قبضوا عليه وأودعوني حارةً

لا زرعَ فيها رغمَ حاجاتِ القطيعْ

هذا ما بدأتُ بهِ:

لحني يموتْ

نظرَ الّذي خلفَ المعازفِ للحضورْ

عيني تراقبُ ذلكَ البوقَ المُكرَّرَ في العصورْ

راوغتُهُ

حاولتُ أن أمضي.. رآني

مدَّ كفّيهِ الخبيثةَ كي يشقّقَ طاقتي

سرقَ انتمائي للثّيابِ وقد تشابكت الخيوطْ

وشجاعتي رتَّقتُها لكنْ.. بآلافِ الثّقوبْ

وقفوا أمامي

والأخيرُ وقدْ تبسَّمَ لم يقلْ

إلّا: اتركوهُ

فصفّقوني والتّرابْ

لو أنّهم تركوا العبارةَ في فمي

لأعدتُ نسجَ ربيعِ حرفي

مِن سراباتِ السّراب

العازفونَ تشرّدوا

وأخذتُ مِن آلاتهم حطبًا أدفِّئُ زائري

فوجدتُ نفسي نارَه ورمادَهُ

ووجدتُ أحفادي امتدادًا للعذابْ

هذا ما بدأتُ به:

صوتي يموتْ

صنمٌ أمامي يكسِرُ الأحياءَ

يلتهمُ القرابينَ الكواعبَ

إن رماها الخوفُ في أحضانهِ

صنمٌ يُقدِّمهُ الجبانُ

لمن يرونَ الجبنَ دربًا للكِياسةْ

ذئبُ الدّماء كما ضباعُ العينِ يجترعُ الصّدى

هذا الشّعورُ مِن الضّمائر لا يعودُ بقاربٍ

كانوا عليه

هذا الشّعورُ هو الأخيرُ من البَلادةْ

إنّي صرختُ بمن يشابهُني: أنا

كفّي أحرّكُ

ليس يفهمُني أحدْ

وأشيرُ للقومِ الحِسام

وليسَ يفهمُني أحدْ

صنمٌ أمامي

يُنجِبُ الموتى

وأعداءَ الحياةِ

وبعضَ أكفانٍ تغطّيها الدّماءُ

وليس يفهمُني أحدْ

كم مِن مكانٍ كان يلفظُ ساكنيهِ وإنَّما

ما كانَ يسكنُهُ أحد!

هذا ما بدأتُ بهِ:

يومي يموتْ

لم نَلتقِ

في الحُلمِ جاءتني بلادٌ

تحملُ الزّيتونَ في أثدائِها

في الحُلمِ سارت ليلتي فوق النّهارْ

في الحُلمِ حادَثني الكمانُ بألفِ لحنٍ شَيّقٍ

وصحوتُ لم أجد البلادَ

ولا الكمانَ

ولا اللّيالي السّائرةْ

وغفوتُ فوقَ الحُلمِ أيضًا

:كنْ جبالًا

:كنْ بحورًا

:للقصيدةِ ألفَ معنى

ثم لا تُبقِ المَجازَ مُهدهِدًا

للأعينِ اللّا تلتقي بعشيقها

«مختارُ» مَن تلكَ الّتي بكت البلادُ رحيلَها؟

عيناكَ أم عيني بكت؟

شفتاكَ أم شفتي بكت؟

كان الكلامُ دموعَها

أنَّاتُ بُحَّتِكَ الضّحوكةِ قد بكت

والشّعرُ فيكَ

الملمحُ اللّا ينثني

ويداكَ يومَ ذهبتَ في الجَوقاتِ

ترفعُ من وتيرةِ نبضِنا

وتحرّكُ الأشياءَ

والأسماءَ

والأنفاسَ

إذ تُبكي القصيدةَ واللّيالي السّابقةْ

يا عازفًا جمهورُهُ الغيماتُ

والظّبياتُ

واللّحنُ الحجازيُّ القديمْ

مَن ذا يحرّكُ مَن؟

هل لوَّحَت كفَّاكَ للجوقاتِ.. موسيقا

أم الشّعرِ الحزينْ؟!

هل ردَّدت عيناكَ مِن نُوتَاتِها؟

أم ما اختتمتَ بها مقامَ الرَسْتِ

في ذيلِ اللّحونْ؟!

لا زلتَ منّي حيث نبدأ مِن نهايتنا

ونمضي

ثم نَقفُلُ راجعينَ

إلى المعاني الصّادقةْ

لا زلتَ منّي

حيث منّي أنتَ قافيةً تلملِمُ وهجَنا

في عتمتينا والشّرودْ

لا زلتَ منّي أنتَ

داليةً تظلّلُنا معًا

فإذا تعرَّت كنتَ داليةً لها

وغمَرتني

قد نمتُ أطولَ مِن حكايا الأمسِ

أقصرَ مِن مزاورةِ الشّموسِ على الكهوفِ النّائمةْ

لكنّني أسكنتُ روحي في الحقيقةِ بعدما

كنتَ الوحيدَ ال لم تثبطْهُ المواعيدُ الأخيرةْ

هذا ما بدأت بهِ:

كلّي يموتْ.

بعد حُلمٍ نهاريّ حدثَ فيه كلّ ما سلَف برفقةِ الشّاعر: مختار العالم.

دَواخِل

وكنتُ إنْ مررتُ مِن أمامي

رجوتُ أنْ يكونَ جالسًا

سوايَ في مكاني

وكلَّما رأيتُني

أو كلَّما رآني

وحرتُ بينَ ما ابتعدتُ عنهُ واقترابي

ضحكتُ

ثم قلتُ: مَن يكونُ صاحبي؟

فكلُّ ما رأيتهُ يراهُ بارتيابي

وكلُّ ما أذوقُهُ _ لديهِ_ مِن عذابي

عميقهُ تعمُّقي

شديدُه تَشدُّدي

جديدهُ تَجدُّدي

وجومُه تَجهُّمي

ثيابُهُ ثيابي

فمن يكونُ صاحبي؟

أو صاحبُ المُصابِ؟!

فصوتُه ال يجترُّني بكلِّ ما يقولُهُ

مهدهِدًا فظاظتي يسومُ بالعتابِ

ويورثُ الهدوءَ فيما بيننا

ضوضاءَ الاكتئابِ

وضوؤهُ الخفيتُ إن أنارَ طاردًا

عن طينهِ ظلامَهُ

استغاثَ بالتّرابِ

يدثّرُ البياضَ بالسّوادِ

والسّوادَ بالبياضِ

والشّبابَ بالمشيبِ

والمشيبَ بالشّبابِ

من هيكلي استراحَ حينَ لا أراحني

مُسدِّلا مجيئَهُ الخجولَ باحتجابِهِ

مُغلِّقًا أبوابَهُ

وقد فتحتُ بابي

فكيفما رأيتهُ

إن كان ما رأيتهُ

قد شاءَ أن يراني

مُدجِّجًا خيالَهُ القريبَ بالحجابِ

يخافُني لأنّني أخافُهُ

فكلَّما تمدَّدَت يداي لاحتضانِهِ

تمدَّدَ اغترابُنا فعدت باغترابي

يخافُني لأنّني أخافُهُ

مِن توأمِ الوجودِ في دمائِنا

من نُسخةِ العظامِ والعروقِ والنّدوبِ

مِن جلودِنا

من أنْ تكونَ رحلةُ ابتعادهِ اقترابي

فشكلُهُ تَشكُّلي

وكسرُهُ تَكسُّري

وجَمعهُ تَجمُّعي

وأصلُهُ تَأصُّلي

وهُدبُه هِدابِي

وكنتُ إن جَهِلتُني

وعدتُ لي مُعنّفًا

تعانقتْ ملامحي.. لأنّها ملامحي

بظلِّهِ الوحيدِ

والمليءِ بالضّبابِ

وأسرفَتْ دواخلي.. لأنّها دواخلي

برغمِ ما اختزلتُهُ مِن قبلُ بالإيابِ

وضمَّني بكلِّهِ

وقد ضَممتُ كلَّهُ

وحينما وجدتُني.. ضممتُني مُجدّدًا

كيلا أضمَّ بعدَما التقيتُني

غيابي.

حَطَب

يُعذِّبُني مغيبُ الشّمسِ عنّي

تُعذّبُني مسافاتٌ طوَت في طيّها سُحبي

فقد سَبقتْ خطايَ خطاكِ في الدّربِ

وقد تَعبتْ مِن الأيّامِ أقدامي

وما تعبتْ شقاوتُكِ مِن اللّعبِ

وقد أُبدِلتُ تمثالًا

كساهُ الثّلجُ في هَرمٍ

بُعيدَ الخافقِ المَعمُورِ بالغُلواءِ

واللّهبِ

ويومَ شكوتُ في غَضبٍ

برودَ حضورِكِ تَعِبًا

أجدتِ مهارةَ العَتبِ

ويومَ بعثتُ موجوعًا

لطيفَ القولِ كي ألقى

لطيفَ الردِّ لم أُجَبِ

وحينَ رجعتُ مِن بَحري

بلا صيدٍ ومَغنمةٍ

تركتُ قواربي جوعى

تسُفُّ موائدَ الكُثُبِ

جفا صِّنارتي بحرٌ

وأمواجٌ تهشّمُني

وحينَ رجعتُ محذوفًا

غنمتِ البحرَ كي ألقى

بسلّةِ صيدكِ قلبي

وحينَ تيبَّسَتْ شفتِي

فلا شفةٌ تُرطّبُها

تلمَّظَ أحمرُ الشّفتينِ

ما خبّأتِ مِن رُطَبِ

ويومَ نثرتُ أسبابي

أمامَ الهجرِ كي أبقى

جررتِ الهجرَ مشدوهًا

ومنزوعًا مِن السّبَبِ

أنا في عصرِك الذّهبيّ

كيف تعودُ بي حِقبي؟

أنا في عصرِكِ الفنّيّ

مضياعًا لآلاتي

وأوزاني

وموسيقايَ في الأدبِ

جنيتُ العمرَ

وقعَ العمرِ

في تقصيفِ أجنحتي

فما طارت لتحمِلَني

ولا امتَثَلتْ لحملِ هياكلي رُكَبِي

فقد جفَّتْ عروقُ الطّيشِ مِن زمنٍ

وجَفَّت بحرةُ الأفكارِ

والأشعارِ

والكُتبِ

أنا أرضٌ بلا ماءٍ

ولا شجرٍ

وأنتِ الرّوضةُ المُسجاةُ

بالدرَّاق

والعِنبِ

أنا جِذعٌ تكادُ الرّيحُ تكسِرهُ

وأنتِ كعودِ رَيحانٍ

إذا ما الرّيحُ قد مالتْ

يميلُ بقدّهِ الرّطِبِ

أنا في مسرحي بطلٌ

بلا نصٍّ وجمهورٍ

أحاكي الدّورَ للأزياءِ

والجدرانِ

والخَشبِ

أنا لا أنتِ في الدّينا

تمرّرُهُ بلا صَخبٍ

وتعبرُ مثلُك الدنيا

بأعراسٍ مِن الصّخبِ

قطارُكِ جاءَ في عَجَلٍ

يريدُ محطّةً للحبّ

والشّيباتُ صاغرةٌ

أمامَ تعملقِ النُّخَبِ

سوى آثارِ مَقدَمِهِ

وعودتِهِ

سوى خيباتِ ملمحِهِ

ورجفتِه مِن التّأجيلِ

والتّسويفِ

والآمالِ

لم يُصبِ

لقد نفقَتْ خيولُ الغزوِ

والنّاقاتُ في لغتي

لقد نفَقَتْ طواويسٌ

نفوقَ التّيهِ

والعَجبِ

وأحداقٌ تُبارزُ كلَّ غانيةٍ

وفاتنةٍ مِن الهُدُبِ

أنا في مَقعدي ماضٍ

كما الأشجارُ ماضيةٌ

إلى الحَطبِ

فقد ضيّعتُني جدًّا

ومنّي تهتُ مِن منّي

وقد أُنسيتُ مِن تعبي

حياةً دونما تعبِ.

فَراملُ اللّيل

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحَدْ

قتلَ الشّتاءُ ضيوفنَا

وطوى كطيّ صحائفٍ قلبًا

تعملَقَ في جسدْ

ونحا بنا رغمًا

فكانَ غريمَنا

لنلوذَ من سوطِ العَناءِ

إلى كرابيجِ الحسدْ

قتلَ الشّتاءُ ضيوفنَا

والعابرينَ

الحالمينَ

اللّاجئينَ

النّازحينَ

فلا أحدْ

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

قلبٌ.. تعملَقَ في جسدْ

وتقزَّمَ النَّفَسُ الزّكيُّ

فقلتَ: كفَّكَ هاتِها

وذوَتْ قواي فليتني

قد كنتُ نَسيًا قبلَها

أأكونُ للنّخلِ الرّطيبِ

لسروةِ الوطنِ البعيدِ

على انتكاساتي السّندْ؟

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

وجثَتْ عظامِي

فانتَشِلْ منها عصاكَ

وسِرْ وحيدًا

مُذْ عرفتُكَ والنَّدى

يمشي وحيدًا

مُذْ عرفتُكَ والقصيدُ يَئِنُّ في المنفى

وحيدًا

مُذْ عرفتُكَ والسّرابُ يشقُّ صدري

حينما تمضى

وتترُكُنا وحيدًا

فلتكنْ أنتَ الّذي

قد جاء للدّنيا وحيدًا

يا غريبًا

في زمانٍ شاءَ أن يبدو غريبًا

فالنّعيمُ هو الجحيمُ إذا خبا

وجحيمُنا يعني النّعيمَ إذا ابتعدْ

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

ها أنتَ تحنو في المسيرِ

وكلُّ شيءٍ عاندكْ

وتريدُ أن تسلو الجراحَ وكلّما

واريتَ جرحًا أثخنكْ

وأنابَ جرحٌ آخرٌ

قدَّ البلادَ ومزَّقكْ

لم أستمعْ

واستلَّ مِن ألمِ الكلامِ عبارةً

عاشت ذئابُ الحيّ يا ولدي ولم:

يبقَ كريمٌ يستجارُ بقولهِ وبظلِّهِ

إلّا هلكْ

"وكلامُنا لفظٌ سليمٌ كاستقمْ"

ولمثلِنا ما إن حَللنَا في اللّسانِ عِقَالَهُ

فورًا صفَدْ

والحرُّ يا ولدي سجينٌ إن وعدْ

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

ونبا ارتعاشٌ

فاحتَضِن ألمي ومارسْ

سطوةَ المطعونِ مارسْ

سلطةَ المكلومِ مارسْ

لا تكنْ جفنًا على عيني ودعْ

قلبي سريرَكَ

إنَّ هذا القلبَ مسجونٌ

وسجّانٌ

وحارسْ

وانتزعْ ما شئتَ منّي

خذْ شجوني الآنَ

خذني

كي أكونكَ مرّةً

نثرًا وشعرًا مرّةً

هَبنِي دواتَكَ كي أكونكَ مرّةً

شكلاً وصوتًا مرّةً

وجهًا حزينًا دافئًا

قد حازَ أسرارَ الكَمدْ

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

ولثمتُ وجهًا مادَ أنهكهَ التّعبْ

بتُّ الشّظايا في سكونِ اللّيلِ

يجمعُني ويطرحُني الرّجا

ويَميدُ عقلي باحتسابِ اللّاجئينَ

النّازحينَ

القابعينَ بكلِّ ما فيهم هنا

وقلوبُهم لهجت:ألا أحدٌ أحدْ

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحدْ

ووقفتُ أرقُبُ مَركِبًا

قد جاءَ

لكنْ لا أحدْ

والبحرُ مثلي

مثلُنا

يمضي

ولكنْ لا أحدْ

أينَ المهاجرُ؟

لم يعدْ

صوتٌ بعيدٌ أو صدى

صوتٌ يعودُ بلا أحدْ

فرجَعتُ مثلَ قصيدتي

فيها ترانيمُ البكاءِ بلا بكا

وخيالُ وجهٍ ضائعٍ

قد كان يشبِهُ لا أحد

تعبٌ تعبْ

وحدي وأنتَ ولا أحد.

الغِربان

يا صديقي

قد تخلَّى عن جراحي الأقربون

ولقدْ تناساني الرّفاقُ ولمْ يَعُدْ

في الغابةِ الخضراءِ أوراقٌ

لتحملَهَا الغصونْ

هذا التّصحُّرُ في حياتي ماردٌ

يَقضي بصُفرتِهِ قضاءَ الفاسقينْ

هذا التّساقطُ مُنذُ جِئتُ يَعدُّنِي

مِن زُمرةِ ال رّفضوا السّقوطَ

ويَسقطونْ

قدري المجيءُ فما اشتهيتُ زوالَهُ

ورَكِبتُ صَعبًا ما ملكتُ عِقالَهُ

وسألتُ مَن سبقوا إليهِ فأحجموا

وأجابَ عن سرِّ الحياةِ المَيّتُونْ

قدري المسيرُ وكلُّ ما صادفتُهُ

مِن مُوجعاتٍ في الرّدى

مِن مُرجئاتٍ للأذى

مِن رقصةٍ ثَكلى أمامَ مصائبي

من سَطوةِ الفوضى

يُؤمِّرُها المُجونْ

كيفَ فوقَ الأرضِ أمشي؟

راحَ بعضُ القومِ يسألُ في ذهولْ

ما كنتُ أمشي

إنّني سلَّمتُ أمري للصّروفِ

وما يكونُ

ولا يكونْ

قلبي يطيشُ على بحيراتِ الأسى

لا شطَّ للأحزانِ في هذا المَدى

إنّي انتهيتُ

فأينَ ذاكَ النّور في عَتمِ الفَضَا؟

قلبي ضجيجٌ في سُكونْ

يا صديقي

لم يصافحْني سواكَ وكُلَّما

قاربتُ كَفِّي

صافحتْني _في جَفا_ أيدي المَنونْ

لا تَلُمْني

إنَّ في لومِ الأحبةِ

ظُلمَ مَن هُم يعشقونْ

إنّها الدّنيا إذا ما أقبَلتْ

ضحكتْ لنا

رقَصتْ بنا

حتّى إذا انقبَضتْ أدارتْ ظهرَها

إنّها الأحلامُ تطويها الظّنونْ

لا تَلمنِي

إنَّ مَن في مثلِ حالي

لا تعالجُهُ الكِياسةُ

والنّصيحةُ

والتّخبّطُ

والظّنونْ

إنَّ دولابَ العجائبِ

قد رماني في عجائِبهِ لوحدي

إنّني أمسيتُ قُربانًا

يُقدِّمُهُ الزّمانُ إلى زماني

إنّني في جدولِ الأعمالِ للإخفاقِ

مِن بعضِ الشّؤونْ

يا صديقي

قد تخلَّى عن جراحي الأقربونْ.

الشُباك

قد عدتُ في سُفنِ الرّحيلِ وهكذا

يرسو الرّحيلُ على خليجِ القهرِ

مدفوعًا بأمواجِ المَحاجرْ

وأرى بلادي في بِحارِ الحبرِ تطفو

حينَ يطفو الحِبرُ في وجعِ المحابرْ

وطنانِ يعتلجانِ في حدَقِي

على كتِفي

وفي ورقي

وفي خَتْمِ المعابرْ

وعلى جوازي لستُ أدري مَن أنا

فأنا سوايَ إذا انتهيتُ لموطني

وسوايَ أبدو إن بدأتُ بموطني

وأنا المُقيمُ إذا لجأتُ

أنا الغريبُ إذا أقمتُ

أنا المسافرْ

«عمَّانُ» تحتلُّ المَسافةَ

والحواجزَ

والمَقاعدْ

قد كنتُ أحسُبها القصيدةَ غيرَ أنّي

حينما ودّعتُها

ودَّعتُ آلافَ القصائدْ

قد كنتُ أحسُبها الوضوءَ لكلِّ جرحٍ نازفٍ

والآنَ أكتشفُ الحقيقةَ

حينما تبدو الطّهارةَ والقداسةَ والمعابدْ

«عمَّانُ» تمشي في «الخليلِ» فهل لمحتِ بيوتَها؟

إنّي رأيتُ نساءَها

يغزِلْنَ ثوبَ «حليمتي»

ورأيتُ أمّي قد تسيَّدَت الكواعبْ

ومخيّمي

إنّي رأيتُ مُخيّمي اتَّخذَ الصّفيحَ غطاءَهُ

ومِنَ الدّوالي

مِن غصونِ التّينِ يتّخِذُ الوَسائدْ

عمَّا يفتّشُ مَن يفتّشُ مِعطفي؟

إنّي حملتُ اللّاجئينَ جميعَهم

إنّي حملتُ النّازحينَ جميعَهم

إنّي حملتُ وجوهَ قومي في حقيبةِ أضلُعي

وحملتُ رائحةَ التّرابِ ولمْ تَسعْ

وطني الرّسائلُ والحقائبْ

وفككتُ رأسي

كي يطيرَ معَ الطّيورِ

وكي يغيبَ معَ البحورِ

وكي يكونَ رصاصةً

أو زهرةً

أو جدولًا يجري ليستبقَ السّحائبْ

وفككتُ رأسي

كانَ في رأسي الشّروقُ

وكانَ في رأسي الغروبُ

وألفُ نجّارٍ

وحدَّادٍ

وسبَّاكٍ

وعطَّارٍ

وما لحَّنتُ

ما غنَّيتُ

ما غنَّى «أبو عربٍ»

وما أقسمتُ

ما أضمرتُ

كنتُ الكونَ

كلَّ الكونِ في سفري

وتصحبُني الكواكبْ

قد عدتُ

أينَ «حليمتي»؟

حافٍ وتدري قصّةَ الطّفلِ الّذي

قد سارَ في ركبِ الحفاةْ

حافٍ وطعمُ الشّاي قد غمسَ الرّغيفَ

على الشفاه

حافٍ ككلِّ الهاربينَ مِن الجحيمِ

إلى الحياةْ

فتناولي شايي

رغيفي

ناولي شفَتي رغيفي

ثم قومي مثلما قد كنتِ في الوجهِ الصّبوحِ

إلى الصّلاةْ

حافٍ «وحيُّ الشّيخِ» مسرحُنا الأخيرْ

إنّي أفتّشُ عن «حليمةَ» فوقَ مسرحِهِ

وعنّي في الحضورْ

أينَ المنازلُ؟

أين جَدّي؟

أين مِفتاحُ الحديدِ

وبابُ مسجدهِ الصّغيرْ؟

أينَ الصّريرُ على لسانِ البابِ

إن شَـهَقَ الرّنينْ؟

إنّي أفتّشُ في الأزقّةِ عن أساتذتي

وعن صفّي

عن الطّفلِ ال تعدَّى الأربَعينْ

إنّي أفتّشُ عن نشيدةِ موطني

الكورالِ

والتّصفيقِ

عنّي في الحضورْ

لو تعلمينَ صديقتي

ما كانَ مِن وجعِ اليدين وشوقِها

ما كانَ مِن وجعي لأُمسِكَ أُصبَعَ الطّبشورْ

إنّي أفتّشُ في الخريفِ عن الرّبيعِ

وفي الصّدور القاحلاتِ عن الزّهورْ

دعي الجدرانَ تسألُني

دعي الأثوابَ تسألُني

دعي الحاراتِ تُرشِدُني إلى بيتي

أنا لا زلتُ أرقبُها تدكُّ «اسْتيمَ» بابورٍ

ولا أدري إذا ما الضَّوءُ مِن وجهٍ

ومِن أسنانِ والدتي وجبهتِها

أمِ البابورْ!!

أنا لا زلتُ أسمعُها

وطعمُ الشّاي في شفتي

فهذا البابُ يعرفُني

وهذا الحَوْش

هذا الشّيبُ

هذا القهرُ

هذا الشّعرُ بينِ النّثرِ والمنثورْ

أمامَ البابِ يا وطني

أنا الموجوعُ

والمشـقوقُ

والمَجبورْ

أنا مِن نسـلِ ساحرةٍ

ولكنّي أنا المَسحورْ

أنا مَن حطَّم الأشـياءَ

مَن حطَمَتهُ غربتُهُ

كهذا البابِ في شُبّاكِهِ المكسورْ

أنا مَن أحزنَ البروازَ يومَ رميتُه حجرًا

ويومَ وشـمتُهُ كسـرًا

ويومَ تركتُ كوبَ الشّـايّ منتظرًا

أمامَ الخبزِ والتّنورْ

أنا مَن كسَّر الشُّباكَ لكنّي أنا المكسورْ.

الدّاية

صوتي ليسَ جميلًا

ليسَ رشيقًا في نبرتِهِ

صوتي لا يَصلحُ إلّا للشّعِرْ

كنتُ صغيرًا

أصغرَ مِن أنْ أفهمَ شعرَ الملكِ الضّلِّيلْ

لكنّي ردَّدتُ «ككورالٍ»

ما كان يُذوِّبُ في دنياي إذا أغربْ

كنتُ صغيرًا

لا أعرفُ شكلَ الضّمة مِن نهدِ الأنثى

لا أعرفُ إن كان الموجُ على الأوراقِ

حقيقيًّا في الوهمْ

إن كانَ سيغرقُها يومًا

في قِممِ اليَمْ

لا يتقنُ صوتي إلّا الشّعِرَ

لا يتقنُ إلّا الشّعِرْ

أمّي تعلمُ ذلكْ

أستاذُ اللّغةِ العربيّةِ يعلمُ ذلكْ

وفتاةُ الحارةِ حينَ عَشِقتُ ضَفائرَها

وسرقتُ القبلةَ مِن فمِها

وهربتُ بعيدًا

تعلمُ ذلكْ

وأبو حسن اللّدّاوي يعلمُ ذلكْ

"و أبو حسن اللّدّاوي هذا يعملُ حمّالًا

أحيانًا يَعملُ ماسحَ أحذيةٍ

عاملَ مقهى

أحيانًا يتجوّل بينَ الأحياءِ

يبيعُ التّرمسَ للأولادِ

ويمتلكُ صندوقَ عَجَبْ"

لا يتقنُ صوتي إلّا الشّعرَ

ولم يَلحقْ حُلمًا إلّاهْ

تخبرنُي أمّي كيف بكيتُ بكاءً موزونًا

حين أتيتُ إلى الدّنيا

تخبرُني كيفَ حبوتُ إلى ديوانِ جريرٍ

وكيفَ أكلتُ الورقَ تِباعًا

والجارةُ تخبرُني عن طفلٍ غنَّى بنشازٍ في اللّيلِ

رباعيّاتِ الخيّامْ

الدّايةُ تكذبُ

إذ تَنفي فلسفةَ الحبرِ على جسدي

والحبرُ

وأمّي

وأنا

نعلمُ أنَّ الحبرَ على ثوبِ الدّايةِ مِنّي.. مِنّي

كان صديقي

سرتُ وسارَ فلا يعلمُ أحدٌ منَّا

عن سرِّ العشقِ الأزليّ

أرسمُه كيف أشاءُ

ويرسُمُني إن شاءَ بلا قيدٍ أو شرطْ

ما زال يُحرّضُني أن أهربَ كي يَبحثَ عنّي

ما زال يُكسّرُ أصفادَ الوزنِ على شفتيّ

ويعارضُ ترميمَ قوافينا

بدواعي الموروثِ القبليّ

قد كان صديقي

أو أنّي القابعُ فيهِ بهذا الجسدِ

وهذي الرّوحْ

هل أجهلُ كيف يجيءُ الشّعرُ؟

أم يجهلُ شِعري

كيف أجيءُ إليهِ قبيلَ نداءِ الحرفِ عليّ؟

لا أتقنُ أن أتنفّسَ

إلّا أن يستنشقَ مِن رئتيَّ هواهْ

لا أتقنُ أن أتكلّمَ

إلّا في حضرةِ عينيهْ

ليكونَ السّامعَ والمسموعْ

ويكونَ الظالمَ والمَقموعْ

ويكونَ مداي الرّحبُ مداهْ

في هذا العقلِ صناديقٌ مُقفلةٌ مُنذُ قرونْ

يختِمُها خوفُ الأيّامِ بشمعٍ أحمرْ

أكياسٌ مِن جُثثِ الأفكارِ

وبعضِ الأمثالِ الممنُوعةِ أن تتكرَّرْ

أنا لا أتذكّرُ أينَ وضعتُ الخيلَ العربيَّ بورقي

أنا لا أتذكّرُ شكلَ «الحارثِ» رغمَ ملامحهِ المعروفةِ

«وابنِ سِنان»

لكنّي أتذكّرُ شَطَحاتِ وصَولاتِ «الجاحظِ»

«فالجاحظُ» كانَ كريمًا في كُتبِ البُخلاءْ

وأردِّدُ ما قالَ «النّابغةُ» بفيءِ القُبَّاتِ الحمراءْ

وأردِّدُ ما قالَ الشّعراءُ بسوقِ عكاظْ

كنتُ أبيعُ الخمرَ هناكْ

كنتُ أبيعُ الكحلَ هناكْ

كنتُ هناكَ الرّاوي أيضًا

وهناكَ مررتُ بأوّلِ حبٍّ

وآخرِ حبٍّ كانَ هناكْ

وبتلكَ السّمراءِ ال تفترسُ تفاصيلي

ومررتُ بدكّان القِرطاسيّةِ

ومَن باعَ ليَ القلمَ الأوّلْ

ومَن كسرَ ليَ القلمَ الأوّلْ

ومَن سَرقَ مُرادَ الكَلماتْ

أعوامي جرفَت في سيلِ السّنواتِ طريقي

مخمورٌ هذا القلقُ الجاثمُ فوق خيالي

محمومٌ هذا التّعبُ ال يشكوهُ مجازي

وسعيدٌ هذا الحزنُ بقافيةٍ

تَرسُمهُ بطلًا في نحسِ

ويــأسِ الحالاتْ

التّيهُ الكونيُّ يقشّرُ ذاكرةَ الإنسانِ

ليبدو شبحًا

الحزنُ المفروضُ علينا يَخلعُ مِسمارَ مبادئِنا

كي نتخلخلْ

البنجُ الفكريُّ

يساعدُ في تحويل الذّاكرة لسلّةِ كعكٍ

ومفارشِ خُبزٍ

ولبسطةِ ممنوعاتٍ تَعرِضُ أفلامَ البورنو

وأغاني الحاراتِ الضّائعةِ عنِ الأفيونْ

والقيدُ الأحمرُ مولودٌ شرعيٌّ للخطِّ الأحمرْ

إنّي أتذكّرُ ما أسلفَهُ الشّعراءُ

ولستُ أمارسُ ما أتذكّرْ....

«علامات التّنصيص احتوت على نصٍّ قصير من قصيدةٍ للشّاعر الرّاحل: محمد القيسي».

أقدامٌ عاشقة

ساقَتني قَدمايَ إليكْ

جرَّتني لأكونَ لديكْ

هاربةٌ منكَ فلا جسدي

يمنعُني فورَ مغادرتي

أن أقذفَ نفسي بين يديكْ

ساكرةٌ منكَ فلا ألمي

يأخذُ ما قلتَ ويصفعُنِي

بسياطِ القسوةِ مِن شفتيكْ

ساكرةٌ تشربُ عيناهَا

ما لا تشربُه عيناها

إن حرُمَ المُسكِرُ في عينيكْ

أفقدَني صدُّك أيّامي

ما كنتُ عليهِ وجرَّدَني

من قلبٍ يسكنُ في جنبيكْ

قُلْ عَنّي:

جاهِلةٌ طِفلةْ

قُل عَنّي:

طائشةٌ نَزِقةْ

عنّفني ما شِئتَ مرارًا

قَدَمي هِيَ مِثلي عاشِقةٌ

ساقتها الأشواقُ إليكْ

أسمَعُ هذا الضّجَرَ بِصَوتِكَ

أعرفُ دَومًا ما تُخفيهْ

أحفظُ عينيكَ إذ احتوتا

ما تمنعُ عنّي أن تحكيهْ

أحفظُ دهشتَكَ إذا انتبذتْ

في صَنمِ سكوتِكِ عندَ التّيهْ

ألمسُ ما خلفَكَ

مرآتي

ما ترفضُ يومًا أن تبُديهْ

لَكِنّكَ لَم تَعرِفْ يَومًا

مأساةَ فُؤادٍ تَسكنُ فيهْ

مأساةَ العَتبِ فلا تعتبْ

صمتُكَ يَكفيني

مأساةَ الحرفِ على شفتيكَ

وما يُشقِيني

تَشرينٌ ردَّ مشكّكَةً

ومنعتَ بما ردَّ يقيني

تشرينٌ جاء فإن تمضِ

يمضِ تشريني

كَرِّرْ ألفاظَكَ عاتِبني

ذَكّرْني أنّكَ تَسبِقُني عشرينَ سَنةْ

مَكرورُ حَديثِكَ أحفَظُهُ

أكرهُهُ جدًّا

أكرهُهُ

يَقتُلُنِي سَنةً تِلوَ سَنةْ

حاولتُ كَثيرًا أنْ أمضي

لَكِنَ فُؤادَكَ في صَدري

يأمُرُني أن ألقاكَ هُنا

فأنا مِن غيرِكَ

وضِّح ليْ

مِن غيرِكَ

مَن سأكونُ أنا؟

فَأنا عاشِقةٌ

خائِفَةٌ

ساقَتني قَدمايَ إليكْ.

تمّت بحمد اللّه